خطر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية دراسة عقدية

د. عبدالله خميس عمير باجهام
أستاذ العقيدة والأديان المساعد
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية _ اليمن
abbajham@gmail. com

©نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: باجهام، عبد الله خميس، خطر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية دراسة عقدية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 226-284.

DOI: https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0209

الملخص:

يُعد البحث اغتنامًا حقيقيًا للثراء الفكري السليم من العلل والأفكار العقدية المنحرفة، وإعمالًا تنويريًا لمعاني القراءة الكلية في آيات القرآن الكريم؛ وقد جاد هذا البحث ليسلط الضوء على سوء الفهم لمعاني نصوص القرآن الكريم، وذلك من خلال أهم المعضلات العلمية، كالقراءة الجزئية لنصوص القرآن الكريم، ويمثل إشكالًا كبيرًا أمام الفهم الوسطي المنشود، ناقلًا إياه إلى مساحات ضيّقة، وربما المتسبب في الخلط بين الثنائيات المتكاملة والمتقابلة (كالنقل والعقل، الروح والمادة ...)، والبحث يتكون من مقدمة ومبحثين، تناول المبحث الأول خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها على فهم النصوص القرآنية، والمبحث الآخر: القراءة الكلية الشاملة على النصوص القرآنية، وتوصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: إن الإيمان والعقيدة هو الأساس والمبدأ الثابت، والمنهج القيّم؛ لنشر الأفكار الصحيحة، والتعاليم السليمة، وصمام أمان الحفاظ على المجتمعات والأفراد من الانحرافات العقدية والفكرية، خطر القراءة الجزئية الناقصة بتشويه معاني النصوص القرآنية، وتفسيرها تفسيرًا ناقصًا، يؤدي إلى استنتاج معتقدات منحرفة، الاستدلال غير الصحيح لنصوص القرآن الكريم، مما يشكّل خطرًا كبيرًا على العقيدة، وتبني أفكارًا منحرفة أو ضالة. يوصي الباحث بضرورة العناية بالقرآن الكريم تدبرًا وتأملًا بفهم سليم وعميق للنصوص القرآنية الكلية الشاملة، على العلماء النظر إلى الآيات في سياقها العام وربطها بالآيات الأخرى التي تناولت الموضوع نفسه لفهم المعنى بشكل صحيح وشامل.

الكلمات المفتاحية: القراءة، الجزئية، النصوص، القرآنية، خطر.

The Danger of Incomplete Fragmented Reading in Understanding Qur'anic Texts A Doctrinal Study

Dr. Abdullah Khamis Omair Bajham
Assistant Professor of Creed and Religions
University of the Holy Qur'an and Islamic Sciences – Yemen

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Bajham, Abdullah Khamis, The Danger of Incomplete Fragmented Reading in Understanding Qur'anic Texts A Doctrinal Study, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (2), September 2025:226-284.
DOI: https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0209.

Abstract:

The research represents a genuine pursuit of sound intellectual richness, free from doctrinal distortions and ideological deviations. It serves as an enlightening endeavor to promote holistic reading of the verses of the Holy Qur'an. This study offers valuable insights by shedding light on the widespread misinterpretation of Qur'anic texts, particularly through one of the most critical scholarly challenges: the fragmented reading of Qur'anic verses. Such partial readings pose a significant obstacle to achieving balanced understanding, narrowing the interpretive scope and potentially leading to confusion between complementary and opposing dualities—such as revelation and reason, spirit and matter. The research is structured into an introduction and two main sections. The first section addresses the dangers of incomplete and fragmented readings and their impact on understanding Qur'anic texts. The second section explores the comprehensive and holistic approach to interpreting the Qur'an. The researcher arrives at several key findings, the most important of which include: Faith and creed form the foundational and unwavering principles, and the noble methodology for disseminating correct ideas and sound teachings. They act as a safeguard for protecting individuals and societies from doctrinal

and intellectual deviations. Fragmented readings distort the meanings of Qur'anic texts and lead to incomplete interpretations, which in turn result in the derivation of deviant beliefs and incorrect inferences from the Qur'an—posing a serious threat to sound doctrine and encouraging misguided or erroneous ideas. The researcher recommends a deep and reflective engagement with the Qur'an, emphasizing the importance of understanding its texts holistically and comprehensively. Scholars are urged to consider verses within their broader context and to connect them with other verses addressing the same subject, in order to arrive at a correct and complete understanding of their meanings.
Keywords: Partial, Reading, Qur'anic, Texts, Risk.

المقدمة:

الحمد لله الذي أتم علينا النعمة، وعلمنا الحكمة، وثبت لنا العقيدة والإيمان، ورضي لنا الإسلام دينًا، سبحانه وسع كل شيء رحمةً وعلمًا، وفتح لنا من خزائن علمه فتحًا مبينًا، صلى الله وسلم على النبي المجتبى، أزكى البشرية علمًا وفهمًا، وحبًا في نشر الإسلام والسلام مددًا، وعلى آله وصحبه أنوار الهدى، وأكملهم حلمًا وحُكمًا، ومن اقتفى آثارهما يلتمس فيه علمًا. وبعد:

يمثل القرآن الكريم معجزة خالدة، وكتاب هداية للبشرية جمعاء، وتثبيت للعقيدة والإيمان، وتقويم للسلوكيات والتصرفات، وقد حثنا الله تعالى على تدبره وحسن فهمه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ فصلت: 3، ومشكلة كثير من المسلمين أنهم يعانون من آفة نقص فهم النصوص القرآنية، بسبب قراءتهم الجزئية وغير الشاملة وخاصة القضايا العقدية.

إن القراءة الجزئية للقرآن الكريم، أي اقتطاع الآيات القرآنية من سياقها العام، وتجريدها من المقاصد الشرعية، وسلخها من الأصول العقدية للإيمان واليقين، تؤدي إلى تشويه معاني النصوص وتزييف المفاهيم، بل يؤثر على العقيدة الإسلامية، فيورث إلى تكوين معتقدات خاطئة وشاذة عن الفهم الصحيح للإسلام، ويجر أصحاب القراءة الجزئية إلى أفكار منحرفة،

وسلوكيات خاطئة، ومفاهيم تُستَدَلُّ بآيات تبرر أفعالهم المتطرفة وعقائدهم المنحرفة.

إن حاجة المسلم إلى الفهم العميق لنصوص القرآن الكريم وتحقيق غايته ومبادئه أمر غاية في الأهمية، إذ أن العقل والواقع محكوم قولًا وعملًا بمفاهيم النصوص، حركة وسكونًا بنصوص الشارع وعقائده، وتحقيق مقاصده وحِكمه، والاحتفاظ بمراد النصوص وأسباب بقائها ونمائها، والقراءة الكلية الشاملة هي الحل الأسلم لتحقيق فهم النصوص، فيعد عاملًا أساسيًّا في تحقيق وتأمين المفاهيم الصحيحة، والأفكار السديدة للمجتمعات، كما يُوفر ضابطًا عقديًا يحمي الأفكار الخارجة والنابتة من أي تطرف في الفكر والمنهج، فإن النتيجة ستكون تدهور المجتمع من التفرق والتمزق وزعزعة الاستقرار، وستسود حالة من الحرب والخصام، كما حصل من قبل الخوارج المارقة، ويشعر أفراد المجتمع بالخوف، وهدم لمصالح ومقاصد الأمة الكبرى.

أهمية البحث:

تتلخص أهمية البحث في الآتي:

1. قيمة البحث في كونه يمثل مساحة واسعة مما تحتاجه الأمة في التأمل في القراءة الكلية لنصوص القرآن الكريم الضابطة للفهم الصحيح للمقاصد الكلية العقائدية منها والتشريعية، وإعمالًا لمفاهيم العقيدة القادرة على تحقيق صلاح التصورات، ورشد المجتمعات.
2. قدرة البحث في معالجة مشكلة الأمة في دحض الأفكار المتطرفة للقراءة الخاطئة والناقصة لنصوص القرآن الكريم.
3. كون الموضوع رؤية ثاقبة النظر، بالغة الأثر، تُسهم في ترويض المجتمعات وتحذيرها من الشطحات الفكرية والتفسيرات العقائدية الخاطئة.
4. مكانة الموضوع العلمية والعملية؛ إذ أن الشرع الحنيف يُعنى بموضوع التأمل والتدبر في الكتاب المسطور والكتاب المنظور، لقراءة مقاصد الكون والحياة والإنسان.
5. لما للموضوع من أثر كبير في حياة الأمة عني النبي – صلى الله عليه وسلم – بتعميق

الوعي العقدي والتشـريعي من خلال اتخاذ اجراءات ومعالجات لحفظ النص القرآني من التشويه.

أسباب اختيار الموضوع:

من البواعث التي دعت إلى الكتابة في هذا البحث ما يأتي:

1. الرغبة الشديدة في دراسة خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها على فهم النصوص القرآنية.
2. انتشـار ظاهرة القراءة الجزئية الناقصـة؛ مما أوجد الفِرق الخارجة عن عموم منهج الأمة ــ أهل السُنة والجماعة.
3. تحقيق الهدف الأسمى للقراءة الكلية؛ من خلال استنباط التوجيهات الربانية والإرشادات النبوية في تثبيت الأسـس العقدية والتعبدية والأخلاقية والقيم والسـلوكية على الفرد والمجتمع.
4. المؤامرة الكبيرة على الأمة الإسـلامية بإثارة ودعم الفِرق الخارجة عن منهج أهل السُـنة والجماعة، وتمسـكها بالنعرات والعصـبيات والصـراعات لهدف تقسـيم المقسّـم وتجزيئ المجزأ.
5. إثراء وعي المسـلمين بأهمية وحدة الأمة من خطر التفرق والتشـتت، والتحذير من خطر الأثر السـلبي لظاهرة القراءة الجزئية الناقصـة التي تسـاهم في نشـر الخلاف والفتنة بين المسلمين، وتأثيرها على صورة الإسلام وتعاليمه.

فكان هذا الموضـوع " خطر القراءة الجزئية الناقصـة على فهم النصـوص القرآنية ــ دراسـة عقدية ".

أهداف البحث:

تتمحور أهداف البحث في الآتي:

1. بيان أهمية مفهوم القراءة الجزئية الناقصـة وأثرها على العقيدة كمبدأ، وركيزة رئيسـة، في إرساء وتثبيت قواعد الأصول بفهم سلف الأمة.
2. كشـف الأخطار المترتبة على القراءة الجزئية الناقصـة، واقتراح الحلول والمعالجات من واقع

سلف الأمة.

3. تحليل أسباب اللجوء إلى القراءة الجزئية الناقصة، ودراسة العوامل الفكرية والعقدية الموصلة إلى الاعتقاد الخاطئ.

4. محاربة المفاهيم العقدية والفكرية الخاطئة، والمخالفة للأصول والمعتقدات، لمنع وصول الأمة إلى النزاع والصراع، وأضحت بحاجة ماسّة إلى علاج ناجع وناجح.

مشكلة البحث:

إن التخبط والصراع والاختلاف الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية في كثير من بلاد المسلمين؛ سببه الحقيقي هو عدم الفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم وصحيح السُنة، وغياب ترسيخ أصول العقائد بفهم السلف الصالح، وفي هذه الحالة يحل الاضطراب، وتكثر الفِرق، وتتناحر الأمة، ويتمزق النسيج الاجتماعي، ويظهر الصراع، وينعدم الأمان، ويسود المجتمع النزاع والشقاق، وينتشر العنف وربما وصل إلى دائرة الحرب، والقرآن الكريم يؤسس قضية هامة وهي الفهم ويعظم أهميته كما قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴿٧٩﴾﴾ سورة الأنبياء 79.

أسئلة البحث:

1. ما مفهوم القراءة الجزئية الناقصة؟ ووجه اختلافها مع القراءة الشاملة للقرآن الكريم؟
2. ما أسباب اللجوء إلى القراءة الجزئية الناقصة؟ وما أهمية القراءة الشاملة وتعزيزها عقائديًّا؟
3. ما العلاقة بين القراءة الجزئية الناقصة والتطرف والإرهاب؟
4. كيف يمكن مواجهة ظاهرة خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها العقدي على الفكر الإسلامي؟

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاع الباحث في عدد من المكتبات، لم يجد رسالة ولا بحثًا له صلة مباشرة بهذا الموضوع، غير أن هناك ثمّت دراسات أجريت بحسب الباحث أن لها صلة غير مباشرة بها منها:

1. قواعد التعايش بين أهل الأديان عند شـــيخ الإســـلام ابن تيمية للمؤلف: محمد خير العبود، رمادي للنشـــر، الدمام، تناولت الرســـالة عددًا من القواعد منها: دين الأنبياء واحد، الالتزام بالكتاب الســماوي، اتباع الأنبياء والمرســلين، العلم مع العمل، المحبة مع الله لا مع الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عقد الذمة، لا تصـــلح قبلتان بأرض الإســـلام، عدم قتل رجال الدين المحبوســـين للعبادة، ولم تتناول المؤلف القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية.
2. قواعد العقائد لحجة الإسلام الإمام الغزالي، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، وتناولت الرســـالة أصـــول الإيمان والقواعد العقدية، ولم تتناول القراءة الجزئية الناقصـــة على فهم النصوص القرآنية.
3. أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، للمؤلف الشيخ/ محمد بن سليمان التميمي، تناولت الرسالة أصول الدين الإسلامي، الوصية باتباع الصراط المستقيم، القواعد الأربع في الإسلام، عقيدة السلف الصالح، ولم يتناول المؤلف القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية.

منهج البحث:

فقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي الوصفي؛ حيث تم استقراء الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية وسيرة السلف الدالة على خطر القراءة الجزئية الناقصة على النصوص القرآنية.

خطة البحث:

وقد تضـمنت خطة البحث مقدمة ومبحثين وثلاثة مطالب لكل مبحث وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها على فهم النصوص القرآنية.

المطلب الأول: تعريف القراءة الجزئية الناقصة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أثر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية.

المطلب الثالث: مخاطر القراءة الجزئية الناقصة على العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: القراءة الكلية الشاملة على النصوص القرآنية.

المطلب الأول: تعريف النصوص القرآنية والقراءة الكلية الشاملة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أهمية القراءة الكلية الشاملة للنصوص القرآنية.

المطلب الثالث: أثر القراءة الكلية الشاملة على الفكر الإسلامي.

الخاتمة: وتشمل على الآتي: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها على فهم النصوص القرآنية

المطلب الأول: تعريف القراءة الجزئية الناقصة لغة واصطلاحًا:

تعريف القراءة: لغة: (قري) القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها[1]، قرأ: القرآن: التنزيل العزيز، قرأه يقرؤه قرءا وقراءة وقرآنا، فهو مقروء، ويسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه، صلى الله عليه وسلم، كتابًا وقرآنًا وفرقانًا، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنًا لأنه يجمع السور، فيضمها، وقرأت الشيء قرآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض [2]، (قرآن): مصدر قرأ على وزن فعلان الدال على كثرة المعنى مثل الشكران والقربان، وهو من القراءة وهي تلاوة كلام صدر في زمن سابق لوقت تلاوة تاليه بمثل ما تكلم به متكلمه سواء كان مكتوبًا في صحيفة أم كان ملقنًا لتاليه بحيث لا يخالف أصله ولو كان أصله كلام تاليه ولذلك لا يقال لنقل كلام إنه قراءة إلا إذا كان كلامًا مكتوبًا أو محفوظًا، وكلما جاء قرآن منكرًا فهو مصدر وأما اسم كتاب الإسلام فهو بالتعريف باللام لأنه علم بالغلبة[3].

واصطلاحًا: القراءة هي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض فى الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة، والقرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان[4]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة: 17، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: 18 ـ19، قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خُص بالكتاب المنزل

1) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (5/ 78).

2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (1/ 128).

3) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (30/ 253).

4) الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية، (8/ 452).

على محمد صلوات الله عليه وسلامه، وصار له كالعلم[1].

القراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل ولا يقال ذلك لكل جمع بدليل أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة، والقراءة الصحيحة: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أو عن العشرة أو عن غيرهم من الأئمة المقبولين[2]، ورأي الباحث أن القراءة: هي عملية عقلية تفاعلية بين القارئ والكاتب، وتعني إدراك القارئ للنص المكتوب وفهمه واستيعاب محتوياته، وتعتبر نشاطًا للحصول على المعلومات، حيث يتم قراءة هذه المعلومات إما بصمت أو بصوت عال، ويجب على الشخص القارئ أن يكون قادرًا على نطق وفهم الكلمات، والحروف، والإشارات، والرموز الموجودة في النص.

والجزئية: تعني لأخذ جزء من الشيء دون كله، والناقصة: تعني غير الكاملة أو المتممة.

ويقصد الباحث بالقراءة الجزئية الناقصة: هي قراءة جزء من آيات القرآن الكريم أو سورة من سوره دون إكمالها، بمعنى آخر، هي ترك جزء من الآية أو السورة عمدًا أو سهوًا. وأهم منازل التدبر والتأمل:

1. منزلة التدبر والتأمل لقراءة القرآن الكريم: التدبر والتأمل في كتاب الله تعالى من أعظم العبادات القلبية التي تعين على الفهم الصحيح والعمل الصالح، وكان الصحابة رضي الله عنهم من أشد الناس تدبرًا وتأملًا في نصوص القرآن، وهي المنزلة العظيمة التي تحتم الوصول إلى الفهم الصحيح لنصوص العقيدة قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: 82.

1) الطيبي، الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ، (16/ 164).

2) الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص: 703).

2. منزلة الإيمان: التدبر يزيد الإيمان اليقين بالله تعالى، إذ يربط القلب بعظمة الله وكمال أسمائه وصفاته، فيزداد الخشوع به سبحانه قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾ التوبة: 142، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣ ﴾ الزمر: 23.

عن الحسن قال: إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان، لا علم لهم بتأويله، ولم يتأولوا الأمر من أوله، قال الله عز وجل:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ ص: 29، وما تدبر آياته إلا اتباعه والله يعلم، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله، فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خُلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس، والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متى كانت القراء تقول مثل هذا؟، لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء[1].

3. منزلة اليقين: التدبر يرسخ اليقين بآيات الله ووعده ووعيده، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ ص: 29.

4. منزلة التوبة: قراءة القرآن الكريم بتدبر تفتح أبواب التوبة، فيتذكر المؤمن ذنوبه وخطاياه ويتوجه إلى الله نادمًا تائبًا قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ ﴾ هود: 3، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ التحريم:8.

1) الآجُرِّيّ، أَبو بكر محمَّد بن الحسين، أخلاق حملة القرآن للآجُرِّيّ، (ص: 39).

5. منزلة الحكمة: التدبر يمنح الحكمة في فهم النصوص وتطبيقها على الواقع، وهذا مما يميز المؤمن العابد العالم العامل قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود:1، هذه الآية تشير إلى أن القرآن الكريم مصدر الحكمة، حيث إن آيات محكمة في بيانها وتفصيلها، وهي صادرة عن الله الحكيم الخبير، مما يجعل التدبر فيه وسيلة عظيمة لاكتساب الحكمة، وقال تعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ ﴾ البقرة: 269، وهي تشير إلى أن الحكمة هبة إلهية ترتبط بأصحاب العقول الذين يتدبرون ويتفكرون، والتدبر في القرآن من أعظم السبل لاكتساب هذه الحكمة.

6. منزلة الطمأنينة: التدبر والتأمل ينشر السكينة في القلب، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ الرعد:28.

7. منزلة الخشوع: قراءة القرآن بتدبر تؤدي إلى خشوع القلب والجوارح قال تعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ الحشر: 21.

8. منزلة التذكر والاعتبار: التدبر يدفع المؤمن إلى استحضار القصص والعبر واجتناب النواهي، كقصة يوسف وموسى وإبراهيم وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾ يوسف: 3.

9. منزلة العمل: التدبر الحقيقي يؤدي إلى العمل بالقرآن واتباع أوامره واجتناب نواهيه، بل جاءت كثير من نصوص القرآن بربط الإيمان مقرون بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ التوبة: 105، كما سيأتي التفصيل عن منهج أهل السنة والجماعة في علاقة الإيمان بالعمل.

10. منزلة الصلة بالله تعالى: التدبر يربط العبد بربه ويجعله يشعر بالقرب منه من خلال فهم

كلامه وإدراك معانيه، ومن يعش مع القرآن بفهم وتدبر وفقه الله للهداية والإيمان، قال تعالى عن سماع الجن وتعجبهم بروعة القرآن وفهمه وبيان أثر التدبر والفهم أن أورث الهداية والرشاد قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ ﴾ الجن: 1ـ2.

المطلب الثاني: أثر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية:

تعتبر القراءة المتأنية والمتدبرة والمتعمقة نصوص القرآن الكريم أساسًا لفهم معانيه العميقة، وتطبيقًا لعقائد تشريعات أحكامه، واستنباطًا لمنهجية تعليمه، إلا أن القراءة الجزئية الناقصة للقرآن الكريم تشكّل أثرًا لعزل الآيات والسور عن سياقها العام، ومرادها الشرعي، والتركيز عن جوانب محدودة في دوائر ضيقة، تؤدي إلى تشويه فهم النص القرآني ونتائجه في الفهم عكسية خاطئة وأهم تلك الآثار:

1ـ التفسيرات الخاطئة: الاجتزاء في نصوص آيات القرآن الكريم وتفسيرها خارج سياقها العام والخاص يؤدي إلى تغيير المعنى الأصلي، وتبرير أفكارهم المنحرفة، وتضليل الناس إلى تحريف معاني القرآن وتأويله تأويلًا باطلًا، مما يسبب الانحراف العقدي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به؛ ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم، وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره[1].

وأصول التفسير: هي الأسس والمقدمات العلمية التي تعين على فهم التفسير، وما يقع فيه من الاختلاف، وكيفية التعامل معه، ويدور محور الدراسة في هذا العلم بين أمرين: كيف

1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، (ص: 10).

فُسِّر القرآن؟ وكيف نفسِّر القرآن؟ ففي الأولى يكون الرجوع إلى تفاسير السابقين ومعرفة مناهجهم وطرقهم فيها، خاصة تفاسير السلف التي تُعَدُّ العمدة في هذا العلم، وفي الثانية يكون الاعتماد على ما قُعِّدَ من أصول في تفاسير السابقين، لكي يُعتَمد الصحيح في التفسير، ويتجنب الخطأ فيه[1]، و(علم أصول التفسير)، وهو في الحقيقة جزء من علوم القرآن، وإن كان بعضهم يجعله مرادفًا لمصطلح علوم القرآن[2].

2. التحريف والتأويل: يمثل التحريف والتأويل خطرًا كبيرًا على فهم الدين الإسلامي وعقائده وأصوله على النصوص القرآنية.

ولِفرَق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل، أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل. فأهل الوهم والتخييل، هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه! لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيما محسوسا، وعقابا محسوسا، وأما أهل التحريف والتأويل، فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات!! ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل، بل يقولون: يجوز أن يراد كذا. وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ[3]، والتحريف: هو تغيير ظاهر النص عن معناه المقصود، إما بإضافة أو حذف أو تبديل بعض الكلمات أو الجمل، والتأويل: هو تفسير النص وتوضيح معانيه. وهو نوعان: أولًا: التأويل الصحيح: هو الذي يتفق مع ظاهر النص وقواعد اللغة العربية والسنة النبوية. ثانيًا: التأويل الباطل: هو الذي يخالف ظاهر النص أو يخرج عن مقصوده، وهو ما يسمى بالتحريف.

3. الاختلاف والفرقة: يشير القرآن الكريم إلى أن التدبر الشامل يمنع الوقوع في التناقض

1) الطيار، د. مساعد بن سليمان، فصول في أصول التفسير، (ص: 21 ـ 22).

2) المرجع السابق، (ص: 17).

3) ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين، شرح العقيدة الطحاوية، (ص: 544 ـ 545).

والاختلاف، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا ﴾ النساء: 82، قال محمد[1]: وقال لي محمد بن عبد الله الإسكافي[2]، وكان يقول بخلق القرآن: إذا كان هذا الأمر، كتبنا على الأعلام: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، القرآن كلام الله. يريد بذلك الألفة واجتماع الكلمة، وترك الاختلاف والفرقة. قال محمد: وقد عاشرت المعتزلة، ومن لا أحصي منهم ممن يقول بهذا القول[3]. وقد نهى الله تعالى عن التفرق في الدين قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: 103، حتى قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾آل عمران: 105، قال ابن عباس في الآية أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله قلت فتأمل كيف نهى الله سبحانه في هذه الآيات عن التفرق في موضعين وأخبر أنه من موجبات العذاب العظيم وأرشد إلى أسباب الاجتماع على دينه وشرعه ومن أعظمها الاعتصام بكتابه ودينه علما وعملا وأداء شكره والقيام بما فرضه على عباده من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، عن

1) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير: مجتهد باحث، من أعيان اليمن. وهو أخو الهادي بن إبراهيم. ولد في هجرة الظهران (من شطب: أحد جبال اليمن) سنة (775هـ - 1373م)، وتعلم بصنعاء وصعدة ومكة، وأقبل في أواخر أيامه على العبادة، له كتب، منها: إيثار الحق على الخلق و تنقيح الانظار في علوم الآثار، وقبول البشرى بالتيسير لليسرى، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم وغيرها، توفي سنة (840 هـ - 1436 م). الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، (5/ 300).

2) هو محمد بن عبد الله، أبو جعفر الإسكافي، من متكلمي المعتزلة، وأحد أئمتهم، تنسب إليه الطائفة (الإسكافية) منهم، وهو بغدادي أصله من سمرقند، له مناظرات مع الكرابيسي وغيره، قال ابن النديم: كان المعتصم يعظمه جدا، له كتاب (نقض العثمانية) وهي للجاحظ، توفي سنة (240 هـ - 854 م). المرجع السابق، (6/ 221).

3) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (4/ 396).

4) التميمي، عبد الرحمن بن حسن، المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، (ص: 265).

ابن عباس، قال: "أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم بما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات"[1].

4- التطرف والغلو: والتوسط والاعتدال هو من أعظم ما يسد به باب التطرف والغلو والإفراط والتفريط؛ فكلما كان المنهج سليمًا والتعامل منضبطًا والالتزام معتدلًا، كانت العقيدة صحيحة وسليمة، ونجد الفرق التي انحرفت وغالت وتطرفت كالخوارج والشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وتطور هذا الانحراف وصل إلى أن أعداء الملة حشروا في رؤوس بعض شباب الأمة أفكار التطرف والغلو والتكفير والقتل والارهاب، مما عادت بسلبياتها المشينة تُهمًا أُلصقت بالإسلام والمسلمين ظلمًا وعدوانًا. التطرف: هو عدم الاعتدال بغلو أو جفاء، والغالب على هؤلاء أنهم يطلقون التطرف على المفرط الزائد الغالي بزعمهم، والمتزمت: الذي ليس عنده انشراح لقول الحق وقبول الحق والسير مع أهل الحق[2]، والغلو: هو مجاورة الحد في مدح الشيء أو ذمه، وضابطه تعدي ما أمر الله به[3]، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ طه: 81، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ المائدة: 77، أما اتجاه المعاصرين في تأويل كتاب الله، فقد أخذ وجهين مختلفين: وجه غال متطرف، ووجه معتدل متوسط، إذا ما قسناه بالاتجاه الغالي: فقد ظهرت ملامح التطرف والغلو في تأويل كثير من آيات القرآن بعقائدهم التي شذوا بها عن أمة الإسلام[4].

---

1) الطبري، هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (1/ 143).

2) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، (8/ 236).

3) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، (ص: 254).

4) القفاري، ناصر بن عبد الله، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية – عرض ونقد –، (3/ 1056).

المطلب الثالث: مخاطر القراءة الجزئية الناقصة على العقيدة الإسلامية:

تعد القراءة الجزئية الناقصة من أخطر الأمراض التي تصيب الفكر الديني وانحرافه، فهي تؤدي إلى تشويه العقيدة وأصولها، وإفساد النصوص القرآنية فهمًا وعلمًا وعملًا واعتقادًا، وتُحدِث الشقاق والفُرقة بين المسلمين، لذا سيبين الباحث في هذا المطلب مخاطر القراءة الجزئية الناقصة على العقيدة الإسلامية.

أولًا: تشويه العقيدة: تؤدي القراءة الجزئية إلى خطر التشويه العقدي إلى للعقيدة الصحيحة، وتأويلها بما يتعارض مع الأصول والشرائع الأساسية للإسلام ومنها:

1. تشويه حقيقة الإيمان: من الفرق التي انحرفت في قضية الإيمان وشوهت حقيقته هي فرقة المرجئة. المرجئة هم من أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وسموا بذلك لأحد سببين: إما من الإرجاء وهو التأخير؛ لأنهم أخروا العمل عن الإيمان، وإما من إعطاء الرجاء، لأنهم غلوا في الرجاء وأهملوا الوعيد، وهم أربع مراتب في تعريفهم للإيمان وهي كما يلي: من يقول: إن الإيمان هو المعرفة فقط، وهؤلاء الغلاة وهم الجهمية، ومن يقول: إن الإيمان هو التصديق فقط، وهذا مذهب الأشعري والماتريدي، ومن يقول: إن الإيمان هو قول اللسان فقط، وهذ قول الكرامية وهو أغربها، ومن يقول: إن الإيمان هو اعتقاد القلب وقول اللسان فقط، وهذا قول عامة الحنفية، وهم من يسمى بمرجئة الفقهاء، وخلافهم مع أهل السنة لفظي والله أعلم، أما تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة فهو: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، وهو يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي[1].

هم الذين أخروا العمل عن الإيمان، وأكثر فرق المرجئة تقول إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقد قسمهم الشهرستاني إلى أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة، وقسمهم الأشعري إلى اثني عشرة فرقة، وأشهر فرق المرجئة الجهمية والأشاعرة ومرجئة الفقهاء، وهذه الفرق الثلاثة انتشرت أقوالهم أكثر من بقية فرق المرجئة

1) الخميس محمد بن عبد الرحمن، شرح الرسالة التدمرية، (ص: 414 ـ 415).

الأخرى[1].

2- تشويه حقيقة صفات الله: فقول المتكلمين في نفي الصفات أو إثباتها بمجرد العقل أو حملها على تأويل مخالف للظاهر ضلال. ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم(2)، وظهر من أصحاب القراءة الناقصة من جمع الآيات التي تتحدث عن صفات الله وذاته تعالى من سمع وبصر، وإرادة وقدرة، ويد ووجه، ووصلت بهم هذه القراءة العوراء إلى حد تشبيه الخالق بالمخلوقين، أو تخيله تعالى بصورة آدمية مجسمة، ولذلك أُطلق على هؤلاء: (المُجسِّمة) أو (المُشبِّهة)، وكرد فعل على هذا التطرف، تطرف آخرون في نفي صفات الله، بحجة تنزيه الله عن المشابهة والمماثلة والتجسيم، ووصلوا إلى تعطيل صفات الله التي أثبتها لنفسه، وأوّلوا النصوص بطريقة لا تستقيم مع لغة العرب ولا مع حقائق ومقاصد هذا الدين، وأُطلق على هؤلاء: (النُفاة) أو (المُعطِّلة).

ثانيًا: تفكيك دائرة الثوابت والمتغيرات: من مخاطر القراءة الجزئية أنها تدفع ببعض أصحابها إلى تفكيك خارطة الثوابت والمتغيرات وجعلها متداخلة وغير متزنة، والاندفاع نحو إحلال كل واحدة محل الأخرى، أي ثقافة الخلط، لأن هناك في الإسلام الكثير من القيم الثنائية المتقابلة والمتكاملة، وتحتاج إلى فقه لهذا الدين، لكن القراءة الجزئية الناقصة للنصوص أوجد خلط شديد بين كثير من هذه الثنائيات مثل: الخلط بين الاختلاف المشروع والتفرق الممنوع وبين العقيدة والفكر وبين الشريعة والفقه وبين المقاصد والوسائط وبين اكتمال الدين وتجديده وبين الدين والتدين، فأخلّ بتوازنها كثير من الأحكام والعقائد والشرائع والقيم والمبادئ.

ثالثًا: دور التشيُّع النَّصّي في تشييع الأمة: اعتبر القرآن أن القراءة الجزئية الناقصة التي ممكن نسميها بالتشيع النصي (تفريق للدين)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ

1) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعْتِصَام، (3/ 364 ـ 365).

2) السجزيّ، عبيد الله بن سعيد، رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، (ص: 178).

فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام: 159، ونلاحظ دقة التعبير القرآني، المتمثل في لفظ (دينهم) أي تدينهم، وهو طريقة فهمهم للدين وتطبيقهم له في الحياة، مما يؤدي بعد تشيع الأمة إلى فرق وجماعات، إلى تشييع فاعليتها، ومن ثم هلاكها ودنوّ ساعتها الحضارية، عن عبد الله بن عمرو، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ضربت له قبة في مؤخر المسجد، ورجلان يتماريان، فسمعت شيئا يحرك أطناب القبة، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اطلع حاسرا عن رأسه قد احمر وجهه؛ قال: " أما إنه لم تهلك الأمم قبلكم حتى وقعوا في مثل هذا؛ تضربون القرآن بعضه ببعض؟! ما كان من حلال فأحلوه، وما كان من حرام فحرموه، وما كان من متشابه فآمنوا به"[1].

رابعًا: العلم المنقوص يصنع الأمية الفكرية: يقصد الباحث بالعلم المنقوص، ما يشير إلى المعرفة الناقصة أو غير الكاملة، والتي قد تكون ناتجة عن قراءة جزئية للنصوص، أو عن تفسير النصوص بشكل ضيق أو متحجز، ويؤدي إلى فهم خاطئ وغير كامل للحقيقة، وقد يكون مدعاة للتطرف والتعصب، ويقصد الباحث بالأمية الفكرية: هي حالة الشخص الذي يفتقر إلى القدرة على التفكير النقدي، وتحليل المعلومات، وتقييم الأدلة بطريقة موضوعية، وهذا النوع من الأمية يجعل الشخص عرضة للتلاعب والخداع، ويؤدي إلى قرارات ومفاهيم خاطئة، من خلال ما سبق يتوقف القارئ عند سطح النصوص ولا يتدبر عمقها، بحثًا عن أسرارها وعللها، مما يجعل تناوله لها تناولًا عاطفيًا يقف عند شاطئ الأماني لا تناولًا عقليًا يغوص في أعماق المعاني ويركب لُجج الاجتهاد والعمل، وكأن الله أشار إلى ذلك عندما قال عن أهل الكتاب: ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: 78، وواضح من الآية أن الأمية هنا فكرية بسبب قلة العلم، وطغيان الأماني، وبروز الظنون والأوهام، واحتلالها أماكن العقائد والحقائق واليقينيات التي لا سبيل لها إلا بالعقل، ويؤيد هذا قوله تعالى عن حملة التوراة من اليهود: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ

1) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، من حديث ابن عمر – [مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب– حديث رقم: 14177 – (13 / 361).

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥﴾ الجمعة: 5.

خامسًا: القراءة (الجزئية) ضلال (كلي): يؤكد الباحث بأن الضلال الكلي الناتج عن القراءة الجزئية هو فهم خاطئ وشامل لموضوع عقدي أو أصل من أصول الإسلام تناولته الآيات القرآنية أو السنة النبوية، وينشأ عن قراءة جزء محدود من المعلومات المتعلقة بأحد هذه المواضيع، وتعميم هذا الجزء بشكل غير صحيح على الكل، بمعنى آخر أن القراءة الجزئية تؤدي إلى فهم قاصر ومحدود، مما يزيد من الجمود الفكري ويعمق الجحود، لأن الشخص يتجاهل أجزاءً مهمة من الحقائق أو الأفكار.

ومن أوضح الأدلة على هذا، لما خرج حرقوص بن زهير في وجه علي رضي الله عنه وقال والله لا نريد بقتالك إلا وجه الله تعالى والنجاة في الآخرة فتلا عليه ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ الكهف: 103 ـ 104، ثم حمل عليهم وقتل عبد الله بن وهب في المبارزة والتحم القتال حتى لم يبق من جملة الخوارج إلا تسعة فوقع اثنان منهم إلى سجستان واثنان إلى اليمن واثنان إلى عمان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى ناحية الابار، وخوارج هذه النواحي من أتباع هذه التسعة وأمر علي رضي الله عنه أصحابه بطلب ذي الثدية فوجدوه قد هرب واستخفى في موضع، فظفروا به وتفحصوا عنه فوجدوا له ثديًا كثدي النساء فقال علي رضي الله عنه: صدق الله وصدق رسوله وأمر بقتله فقتل وقد كان مر على النبي صلى الله عليه وسلم ذو الثدية وهو يقسم غنائم بدر فقال له أعدل يا محمد، فقال له عليه الصلاة والسلام: خبت وخسرت إذا من يعدل ثم قال أنه يخرج من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[1].

ما جاء في حوار علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– لحرقوص بن زهير، حينما قال له: من أنتم؟ فقال هذا الخارجي: نحن الشراة. وكان يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

1) الأسفراييني، طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، (ص: 48 ـــ 49).

﴿ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴿١١١﴾ ﴾ التوبة: 111، فقال له علي: بل أنت ممن قال الله فيهم: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ الكهف: 103 ـ 104. وأورد الشوكاني أن علي بن أبي طالب سئل عن هذه الآية: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قُلۡ) يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود، والنصارى (هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ) أيها القوم (بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا) يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبتغون به ربحا وفضلًا فنالوا به عطبًا وهلاكًا ولم يدركوا طلبًا، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلًا وربحًا، فخاب رجاؤه، وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله[1]، وقد اختلف السلف في تعيين هؤلاء الأخسرين أعمالا، فقيل: اليهود والنصارى، وقيل: كفار مكة، وقيل: الخوارج، وقيل: الرهبان أصحاب الصوامع، والأولى حمل الآية على العموم لكل من اتصف بتلك الصفات المذكورة[2].

ومن يقرأ تاريخ الخوارج، يوقن أن أزمتهم أزمة فهم واستيعاب في المقام الأول، لا أزمة إيمان وإخلاص، وأزمة الخوارج ناتجة عن القراءة المختلة لنصوص القرآن، فهي قراءة جزئية تقوم على اجتزاء بعض النصوص واتخاذها من دون غيرها لإطلاق الأحكام أو اتخاذ مواقف فقد انحدر معظم الخوارج من صحراء الجزيرة العربية، ولا سيما من نجد التي اتسم أهلها بالفقر والجهل الشديد، ولذلك عاب القرآن على الأعراب هذا الجهل، فقال تعالى: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ ﴾ التوبة: 97، ونلاحظ دقة التعبير القرآني (مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ) ولم يقل ما نزل الله، لأن الإنزال يُقصد به نزول القرآن جملة، كأن الآية تشير إلى عدم معرفتهم بكليات ومقاصد هذا الدين، نتيجة سوء فهمهم للقرآن، وانشغالهم بجزئياته عن كلياته، وفروعه عن أصوله، وأحكامه عن عقائده، وهذا يؤكد

1) ابن جرير الطبري، محمد بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، (18/ 125).
2) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (3/ 373).

أن الجهل بيئة خصبة، تصلح لاستزراع الفسق والنفاق، ولاستزراع أفكار البغي على الأمة، والاستطالة على حقوقها وحرماتها، والخروج على نظامها وإجماعها، كما حدث من قبل الخوارج دون أن تغني عنهم كثرة القراءة شيئًا، بسبب غياب التدبر وحضور القراءة الجزئية.

سادسًا: هجران التدبر:

التدبر هو أقفال القلوب، وأن الطبع عليها ينتج عنه عدم التفقه، مما يدل أنها هي آلة التدبر والتفقه[1]، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: 24، المراد بالاستفهام حثهم على التدبر، والتقدير: ليتدبروا في القرآن، و(التدبر): هو التأمل في عواقب الأمور وأدبارها وتصرف الرأي في مفهومها ومعقولها، وكأن التدبر إبدال لهم عن تبييتهم الفاسد[2]، وفائدة التدبر هو أن تعرف معنى ما تتلوه من الآي[3]، والتدبر: هو النظر في إدبار الأمور وعواقبها، وتدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها، وعاقبة العامل به والمخالف له، والمعنى جهل هؤلاء حقيقة الرسالة، وكنه هذه الهداية، أفلا يتدبرون القرآن الذي يدل على حقيقتها وعاقبة المؤمنين بها والجاحدين لها، فيعرفوا أنه الحق من ربهم، وأن ما أنذر به الكافرين والمنافقين واقع بهم؛ لأنه كما صدق فيما أخبر به عما يبيتون في أنفسهم، وما يثنون عليه صدورهم، ويطوون عليه سرائرهم، يصدق كذلك فيما يخبر به من سوء مصيرهم، وكون العاقبة للمتقين الصادقين، والخزي والسوء على الكافرين والمنافقين، بل لو تدبروه حق التدبر لعلموا أنه يهدي إلى الحق، ويأمر بالخير والرشد، وأن عاقبة ذلك لا تكون إلا الفوز والفلاح، والصلاح والإصلاح، فإذا كانوا لاستحواذ الباطل والغي عليهم لا يدركون أن يكون إلا من عند الله؟![4].

1) الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، (1/ 295).

2) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، (1/ 510).

3) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (1/ 134).

4) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، (5/ 233).

ويأتي هجران التدبر على ثلاثة أقسام:

1. هجران تدبر الإنسان عبر آلية (التبصر): التركيز على التدبر عبر آلية التبصر باعتبارها البداية الأولى بتفكر الإنسان في نفسه، فالإنسان المتفكر هو إنسان واع بمسؤولياته، وإنسان قادر على اتخاذ القرارات الصحيحة، قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الذاريات: 21، إشارة إلى دليل الأنفس، وهو كقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: 53، فخص التبصر في النفس بعد اندراجها فيما في الأرض من الآيات، وأنكر على من لا يتبصر في نفسه إنكارًا مستأنفًا[1]، وإنما اختار من دلائل الآفاق ما في الأرض لظهورها لمن على ظهورها فإن في أطرافها وأكنافها ما لا يمكن عد أصنافها فدليل الأنفس في قوله وفي أنفسكم عام ويحتمل أن يكون مع المؤمنين، وإنما أتى بصيغة الخطاب لأنها أظهر لكون علم الإنسان بما في نفسه أتم[2].

2. هجران تدبر الكون؛ عبر آلية (التفكر): يؤكد بفهم الكون من حوله والتأمل في عظمة الخالق، غالبًا ما ينشغل المسلم بالشؤون اليومية وضغوط الحياة، فيغفل عن جمال الكون وأسراره، والقرآن الكريم مليئ بمئات الآيات المرتبطة بظواهر كونية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: 190 ـ 191، إذا حدق الإنسان حدقة عقله نحو ملاحظة معقول امتنع عليه في تلك الحالة الحالة تحديق حدقة العقل نحو معقول آخر، فعلى هذا كلما كان اشتغال العقل بالالتفات إلى المعقولات المختلفة أكثر، كان حرمانه عن الاستقصاء في تلك التعقلات والإدراكات أكثر، فعلى هذا: السالك إلى الله لا بد له في أول الأمر من تكثير الدلائل، فإذا استنار القلب بنور معرفة الله صار اشتغاله بتلك الدلائل كالحجاب له عن استغراق القلب في

1) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، (4/ 444).

2) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (28/ 172).

معرفة الله، فالسالك في أول أمره كان طالبا لتكثير الدلائل[1].

التفكر نعمة كل طالب، وثمرته الوصال بشرط العلم، فإذا سلم الذكر عن الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق، وإذا حصل الشهود والحضور سما صاحبه عن الفكر إلى حدود الذكر، فالذكر سرمد[2]، إن النتيجة الحتمية لهذا التفكر في هذه المخلوقات هي الوصول إلى اليقين بأن الله لم يخلق هذه المخلوقات سدى، وبالتالي سيسعى الإنسان لكشف وظائفها، مستفيدًا من هذه الوظائف في عمارة الدنيا وفق منهج الإسلام.

3ـ هجران تدبر القرآن؛ عبر آلية (التدبر): يمثل القرآن الطريق الأمثل لفهم الإنسان والتفاعل الإيجابي مع الكون، ولهذا امتلأ القرآن بآيات كثيرة تحث قارئه على تدبره بألفاظ متعددة وبصيغ كثيرة، وبأساليب متنوعة.

سابعًا: انقسام المجتمع:

الانقسام هو التقسيم إلى أجزاء أو الفصل بين الأشياء المتصلة، في حياتنا اليومية، وانقسام المجتمع: هو حالة تحدث عندما تفقد مجموعة من الناس كالشعور بالوحدة والانتماء، وتنشأ بينهم فجوات عميقة بسبب اختلافات الآراء، ويؤدي إلى تآكل النسيج الاجتماعي وصعوبة تحقيق التعاون والتضامن، فالقراءة الجزئية الناقصة هي التي تؤدي إلى الانقسامات الاجتماعية، لوجود تكوين آراء متحيزة وقاصرة الفهم عندما لا يتم فهم النصوص وينتج عنه، تشويه الحقائق، وتكوين آراء متطرفة، وانتشار الأخبار الكاذبة والمضللة، وزيادة الشك وعدم الثقة، وصعوبة الوصول إلى حلول مشتركة.

1) المرجع السابق، (9/ 459).

2) القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات= تفسير القشيري، (1/ 305 ـ 306).

المبحث الثاني

القراءة الكلية الشاملة على النصوص القرآنية

المطلب الأول: تعريف النصوص القرآنية والقراءة الكلية الشاملة لغة واصطلاحًا:

تعريف النصوص القرآنية لغة:

النص في اللغة: يأتي بمعنى الظهور والارتفاع، تقول العرب: نصت الظبية رأسها، إذا أظهرته ورفعته، ونص فلان الحديث إلى فلان، إذا رفعه إليه، ونص كل شيء منتهاه، ومن النص بمعنى الظهور والارتفاع سمي الكرسي الذي تجلس عليه العروس منصة؛ لأنها تكون مرفوعة وظاهره على غيرها، ومنه أيضا قول الفقهاء: (نص الكتاب ونص السنة) أي: ما دل عليه ظاهرها من الأحكام[1].

النص لغة هو: رفع الشيء إلى أقصى غاية له، ومنه: ما ورد في الحديث: "كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسير العنق فإذا وجد فجوة نص " أي: رفع السير إلى غايته، ومنه ما قاله عمرو بن دينار: "ما رأيت أنص للحديث من الزهري " أي: أرفع وأسند، والنص اصطلاحا هو: اللفظ الذي يفيد معناه بنفسه من غير احتمال[2].

ما رفع في بيانه إلى أقصى غايته ومنه سميت منصة العروس؛ لأن العروس ترتفع عليها على سائر النساء، وتنكشف لهن بذلك، والنص ما كان صريحًا في حكم من الأحكام، وإن كان اللفظ محتملًا في غيره[3].

والنص ما لا يحتمل إلا معنى واحدا وقيل ما تأويله تنزيله وهو مشتق من منصة العروس وهو الكرسي، والظاهر ما احتمل أمرين أحدهما أظهر من الآخر ويؤول الظاهر بالدليل

1) الصاعدي، حمد بن حمدي، المطلق والمقيد، (ص: 359 ـ 360).

2) النملة، عبد الكريم بن علي، الْمُهَذَّبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ (تحريرٌ لمسائِلِه ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً)، (3/ 1195).

3) ابن الفراء، محمد بن الحسين، العدة في أصول الفقه، (1/ 137 ـ 138).

ويسمى الظاهر بالدليل[1].

فالنص: ما بلغ ببيانه إلى الغاية من الكشـــف، قال الراجز: وجيد كجيد الريم ليس بفاحش. إذ اهي نصـته ولا بمعطل، يعني: كشـفته. وقيل: ما عرف معناه من نطقه. وقيل: ما اسـتوى ظاهره وباطنه. وقيل: ما لا يحتمل إلا معنى واحدا[2].

النصوص القرآنية هي سند رئيس في العقائد والشرائع والأحكام الإسلامية فالذي نعتقده أن الناظر في الآيات القرآنية إذا أخذ المجموعة القرآنية وحدة ولم يغفل ســـياقها وظروف نزولها وهدفها، ولم يقتطع منها الجمل وينظر فيها على حدة كما يفعل أصـحاب المذاهب الكلامية في تشـادهم ومجادلاتهم فيما بينهم- وهذا هو موضـوع هذا المبحث في الأصـل- يسـتطيع أن يتبين أهـداف القرآن في العبارات الواردة تبينا يزول معه من نفســـه ما قد يقوم من وهم التعارض والتناقض في آياته، والقرآن بريء من التعارض والتناقض بنص صـــريح فيه جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: 82، ويجد حلا لما يبدو من إشـكال وتعليلا سـائغا لما يوهم ظاهره من معان متعارضـة فيه، ويظهر له أن كثيرا مما دار ويدور من جدل ونقاش وحجاج وخلاف لا تتحمله عبارات القرآن ولا تقتضيه، وليس من ورائه طائل ولا ضرورة[3].

المطلب الثاني: أهمية القراءة الكلية الشاملة للنصوص القرآنية:

القراءة الكلية الشـاملة للنصـوص القرآنية: هي منهجية تعتمد على فهم النص القرآني كوحدة متكاملة، وليســـت مجرد قراءة للأحرف والكلمات، أو عزل الآيات عن مرادها الصحيح، واستيعاب المعاني الشاملة للنص القرآني، وربط الآيات بعضها ببعض إيمانًا عميقًا متأصلة متكاملة، تهدف إلى فهم معاني القرآن الكريم واستخلاص المقاصد الكبرى للشريعة الإســلامية، وتطبيقها في الحياة اليومية عقديًا وســلوكيًا وأخلاقيًا، تتيح للمســلم أهمية بالغة

1) إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله، الورقات، (ص: 18 ـ 19).

2) الظفري، علي بن عقيل، الوَاضِح في أصُولِ الفِقه، (1/ 91).

3) عزت، دروزة محمد ، التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، (1/ 196 ـ 197).

وأهمها الآتي:

أولًا: الفهم الشامل للدين: الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية ضرورة في الوقت الحاضر لأنها هي القاعدة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي الصحيح، ونحن نعتقد اعتقادا جازما أن "منهج أهل السنة والجماعة" في فهم العقيدة الإسلامية هو المنهج الصحيح الذي يجب تقديمه للأمة الإسلامية اليوم لكي تصبح بحق "أمة مسلمة" تستحق نصر الله ورضوانه[1].

جاءت النصوص القرآنية في كثير منها تؤكد على قضية الفهم الصحيح للإسلام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ البقرة: 208، (السلم) هو الإسلام[2]، (كافة) قال مجاهد: في الإسلام جميعا[3]، وقال مقاتل: يعني في شرائع الإسلام كلها[4]، وبما أن القرآن الكريم هو دستور للأمة ومنهج حياة فوجب الدخول فيه جُله، وأخذه كله شاملًا كاملًا لجميع نواحي الحياة بفهم سلف الأمة، فهو عقيدة وشريعة، وأخلاق وسلوك، ونظام وقانون، ومنهج ودستور، قال تعالى في الفهم الشامل: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾. الأنعام: 38، أي ما من شيء إلا وأصله في الكتاب[5]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١ ﴾ الحجر: 91، "هم أهل الكتاب فرقوه وبددوه، وهم فرقوا القرآن، فقالوا: هذا سحر وشعر"[6]، وهو تنديد بالذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض من السابقين واللاحقين، وهم أولئك الذين يقولون في الوحي المنزل من عند الله أقوالًا متناقضة، ويقفون

1) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (ص: 3).

2) ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (4/ 251).

3) مجاهد، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، (ص: 231).

4) مقاتل، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، (1/ 180).

5) أبو المظفر، منصور بن محمد، تفسير القرآن، (2/ 101).

6) مجاهد، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، (ص: 419).

من أحكامه وتعاليمه مواقف متعارضة، فيحقون ما وافقته آراؤهم، ويبطلون ما خالفته أهواؤهم، ومن ذوي السوابق في هذا الباب، "أهل الكتاب" الذين حرفوا الكتب المنزلة عليهم وجزأوها أجزاء، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وكلمة "عضين" جمع عضة بمعنى القطعة، يقال عضا الشاة " يعضوها إذا جعلها أعضاء وأجزاء وأقسامًا[1]، إذًا التجزئة والتبعيض ذمها القرآن الكريم واعتبرها منافية للنصوص الشاملة للقرآن الكريم، وبما أن الشمول يأتي لمقاصد متعددة، كالشمول في بناء الفرد وهو بناء العقل والروح والجسم، فالمسلم يتعبد الله بإشباع حاجات هذه الأبعاد، فمثلما يتعبد الله بإقامة الصلاة وهي زاد للروح.

هذا الشمول يجعله يتعبد الله بإعطاء العقل كزاد للعقيدة والفكر والعلم والتأمل والتدبر، والشمول يكون في بناء الأسرة، إذ شملت برعايتها ركني الأسرة الزوج والزوجة، وقامت علاقتهما على عقيدة متينة بإقامة التوازن في الحقوق والواجبات على أساس العقائد والشرائع بين الآباء والأبناء، إذ لا تسير في طريق إجباري واحد، لكنها تمنح الفرد حقوقًا مقابل القيام بأداء واجباته نحو الآخرين، وهذا الشمول ينظم أيضًا كل طبقات المجتمع: حكامًا ومحكومين، علماء ومتعلمين، أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء، بل حتى مسلمين وغير مسلمين.

هذا المنهج هو الذي يعصم عن الوقوع في الخطأ والانحراف والزلل، وعن الاضطراب في فهم العقيدة، ويحفظ على الإنسان جهده، ويمنع عقله من التبدد والضياع، ونفسه من الهوى؛ لأنه يعود بالأمر كله إلى العليم الحكيم –سبحانه وتعالى– الذي تكفل بالهداية لهذا الإنسان[2].

وهذه الخاصية لها أثرها الفريد في عصمة الأمة عن الخطأ والزلل والانحراف، وعن الاضطراب في فهم العقيدة؛ وذلك لأنها ترجع إلى مصدر موثوق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الوحي الذي تكفل الله تعالى بحفظه، كما أنها ضمانة لتوحيد كلمة الأمة

1) الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، (3/ 299).
2) ضميرية، د. عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، (ص: 181).

على منهج واحد وتصـــور واحد، عندما تلتقي على هذا الوحي الإلهي بما فيه من موازين لا تضطرب، ولا تتأرجح، ولا تتأثر بالهوى والدوافع الذاتية[1].

من خلال ما ســـبق يؤكد الباحث أن الفهم الخاطئ للأصـــول العقائدية، والتعاليم الربانية، والمبادئ الأخلاقية والتشـريعية، هي مآل تفرقة للأمة وتمزيق لشـملها بسـبب القراءة الجزئية الناقصـة فيختلف المفهوم غير المقصـود منه، وبما أن الدين الإسـلامي هو الدين الخاتم، فقد كان شاملًا لكل الأبعاد البارزة في الرسالات السماوية السابقة، إذ ركزت كل رسالة على بُعد معين، بسـبب كونها محدودة زمانًا ومكانًا بل وأشـخاصًـا، لكن شمول الإسـلام مرتبط بعالمية الرسالة وخاتميتها.

ومن يتدبر آيات القرآن ذات الصلة بعقائد الإسلام، سيجد أنه شامل لجميع المجالات نظرية العقائد وعملية التطبيق أو فلســـفية الرؤى وتطبيقية التصـــورات، مثل قوله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ النحل: 89، أي ظهر كون القرآن هاديًا للتي هي أَقوم ظهورًا بينًا، واعلم أَن القرآن اشـــتمل على قواعد كلية للعقائد والشـرائع، وأما التفاصـيل الجزئية فقد أَحالها الله تعالى على نبيه لتبيينها[2]، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ ﴾ النحل: 44، وقيل تبيانًا: أي يحتاج إليه من الأمر والنهي، والحلال والحرام، والحدود والأحكام وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين[3].

ومن يتدبر آيات القرآن سيصل إلى يقين الإيمان الكامل، بأن القرآن يجعل الأرض بل والكون كله محرابًا للعبادة الشـاملة على أسـاس من العقيدة والعبادة، إذ أن المسـاحة المكانية للعبادة تتســـع للأرض كلها، أما من الناحية الزمانية فإن العبادة تســـتوعب الزمان كله، كما

1) المرجع السابق، (ص: 384).

2) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (5/ 729).

3) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (6/ 37).

قال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ النحل: 52، {وَاصِبًاۚ } قال أبو عبيدة: دائمًا، وقال ابن عرفة: ثابتًا دائمًا[1].

أولويات التشريع تجعل من المؤمن كلما كانت عقيدته صحيحة وقوية انعكس ذلك على احترامه لحقوق الناس وانضباطه في القيام بأدائها على أكمل وجه ممكن، وهي حقوقه الشاملة، وخاصة ما يرتبط بحفظ دينه، ونفسه، وعقله، وماله، وعرضه ونسله. وسيوضح الباحث هذا الأمر من خلال الآتي:

1- عبودية المؤمن لله وسيادته للكون: فالعبودية تكريم للإنسان وهي شرف عظيم في الدنيا والآخرة، بأن جعل الله المقصد الغائي من خلق الإنسان هو عبادته، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: 56.

تمام العبودية: العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته. فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله، لا مع الله، فإن المحب يحب، محبوبه، ويبغض ما يبغض، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال[2].

قال ابن القيم: ومن خصائص الإلهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل، هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين، فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم، واجتالتهم عنها، ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنى، فأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق

1) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، (3/ 1072).
2) الأذرعي، محمد بن علاء الدين، شرح العقيدة الطحاوية، (ص: 376).

فطرهم وعقولهم، فازدادوا بذلك نورا على نور[1]، واستدل ابن القيم بقوله تعالى: ﴿ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور: 35.

وإذا عبد الإنسان ربه حق العبادة جعله سيدا لهذا الكون بموعود الله تعالى، قال ربعي بن عامر وهو يخاطب رستم: الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضي إلى موعود الله[2]، ربعي جمع بين العبودية الحقة، المستنيرة بهدي الله، الجالبة للعدل والسيادة على الأرض وعمارة الكون والحياة، وكذلك أنها تسخير الكون للإنسان: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ لقمان: 20. وكذلك يرسخ الإيمان بأن الحياة والرزق بيد الله، وهو مالك الحياة والموت، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الذاريات: 58.

2- الحقوق الربانية: حقوق الإنسان في الرؤية الإسلامية جاءت من عند الله متنزلة من السماء، فهي ليست ذات أرضية بشرية، وإنما ربانية إلهية ذات توسع في الكليات الحقوقية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: 59.

أصل الحقوق الإنسانية هي حقوق ربانية ما دامت هذه الحقوق ثمرة كتاب سماوي وتشريع رباني، فهي ثابتة ففي قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ ﴾، فالبر الحقوق الإنسانية، والتقوى الحقوق الإلهية وهي أصيلة، ولا يستطيع أن يحرم منها أحدًا،

1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 136 ـ 137).

2) ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، (3/ 520).

فضلًا عن إلغائها، لأن إلغاءها سيكون تغييرًا لطبيعة هذا الدين، ولهذا فحقوق الإنسان في الإسلام واجبات وحرمات.

3. مكونات الحياة: كل شيء في هذه الحياة منسجم لما في هذا الكون، وبما أن الله هو مصدر الخير والتشريع والتوجيه، والإنسان هو مصدر التلقي الواعي والتطبيق المستنير والتوازن والاعتدال، ومجال هذا التطبيق هو الرؤية الثاقبة في هذا الكون الذي يجب أن يتظافر العقل والنقل في عمارتها، ويؤكد أن العلم والإيمان متكاملان، وأن لا صراع بين الإنسان والكون، لأن الكون مسخر لصالح الإنسان.

ثانيًا: المساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية: المنهج الرباني والتشريعات الإسلامية فقد تحلت بالمساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية بصورة مطلقة، لأنها من عند الله؛ ومن غيره يختل التوازن العقائدي والفكري والعلمي والحقوقي والاجتماعي والاقتصادي، والعدالة تثبت العقائد، وتعمُّ المساواة، ويسودُ السّلام، ويختفي الظلم، وتُرد الحقوق، وينعم الناس، أما التشريعات الوضعية فقد أحدثت صورًا من الاختلال في منظومة الحقوق العامة والخاصة، ولها جوانب متعددة:

1- العدل والانصاف: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾ النساء: 135، أرسى الإسلام قيم العدل والإنصاف في التعامل مع جميع البشر.

2- دعا الإسلام أتباعه إلى التعاون مع غيرهم ولو كانوا أعداء، وذلك في كل ما يمكن الاتفاق عليه من جملة حقوق الله " التقوى " أو حقوق الناس "البر"، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ المائدة: 2.

3- دعا الإسلام إلى تجفيف منابع العصبيات وأوجد سلطة الشريعة والقانون على جميع الناس، ولهذا فقد أعلنها رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ مدوية بأن ابنته فاطمة لو سرقت لقطع يدها، ليوقع كل ألوان العصبيات تحت الأقدام، عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله _صلى الله عليه وسلم_؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: " أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[1].

ثالثًا: شمول القرآن للمقاصد والكليات: نزل القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنًا بنصوص محدودة متناهية، ومع ذلك فهو دستور للناس جميعًا في كل زمان ومكان، لأن طبيعة صياغته المعجزة، جعلته شاملًا لكل المقاصد والكليات التي تمثل الضرورات والأساسيات للناس جميعًا، مهما تناءت الأماكن وتباعدت الأزمان، ومن هنا ذهب الإمام الشاطبي إلى أن السلف أعلم الناس بمقاصد القرآن، فيقول: فتحروا أقرب الوجوه عندهم إلى أنه المقصود الشرعي، والفطر والأنظار تختلف؛ فوقع الاختلاف من هنا لا من جهة أنه من مقصود الشارع، فلو فرض أن الصحابة لم ينظروا في هذه المشتبهات الفرعية ولم يتكلموا فيها -وهم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها[2]، قال الإمام الشوكاني: أما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، ويشير إليها في جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله فهي ثلاثة مقاصد يعرف ذلك من له كمال فهم، وحسن تدبر، وجودة تصور، وفضل تفكر، المقصد الأول: إثبات التوحيد، المقصد الثاني: إثبات المعاد، المقصد

1) صحيح البخاري، من حديث عائشة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3475، (4/ 175).

2) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، (5/ 76).

الثالث: إثبات النبوات[1]، فلقد رد على منكري الوحي عموما، وعلى الخصوص منكري الرسالة المحمدية، وبين أن الإسلام دين الفطرة والعقل، كما رد على منكري الجن، وهذا يدحض ما اتهم به من أنه أنكر وجودهم، وكذلك وضح سبق الإسلام في تحرير الرقيق والمرأة، وتكلم عن مقاصد القرآن في تربية النوع الإنساني، وأظهر عظمة القرآن في ما شرعة من نظم مالية وحربية وسياسية وغير ذلك[2].

رابعًا: متانة شمول الوسطية السالمة من الانحرافات العقدية: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: 143، فعقيدة السلف وسط بين الإفراط والتفريط، عقيدة تجمع ولا تفرق، لها من الخصائص العظيمة ما لم ولن يتوافر في ما سواها من العقائد المنحرفة، التي ضلت الطريق القويم باطراح دلالة الوحي، والجري وراء عقليات سقيمة، وفلسفات عقيمة، أدت إلى تعطيل الخالق عن صفات الكمال، وإلى نفي القدر، وإلى القول بالجبر، والتكفير لمذنبي الأمة ونفي الغيبيات الثابتة، وغير ذلك من الانحرافات المزرية[3]، تلكم هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فيقع كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال موزون، بحكمة ربانية "تضبط فيها النسب بين جوانب الحياة وقيمها؛ فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، والعبادة والقرابة، والقومية والإنسانية؛ قيم من قيم الحياة، والإسلام جعل لكل منها موضعا في نظام الحياة ونسبة محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة[4]، فهذه الوسطية تعتبر صفة لازمة لمن ينهجون

1) الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، (ص: 3 ــ 4).

2) المطرفي، مشاري سعيد وآخرون، العقائدية في أشراط الساعة الكبرى وآثارها الفكرية، (ص: 146).

3) المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد، الاقتصاد في الاعتقاد، (ص: 7).

4) ضميرية، د. عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، (ص: 392).

منهج السلف ليس في هذا الباب فحسب، بل في جميع الأبواب[1]، التي تتفرق فيها الفرق – وهم بين التفريط والإفراط– مثل نصوص الوعد والوعيد، وأفعال العباد وموقفهم من الصحابة رضي الله عنهم[2]، مثلًا: في أسماء الله وصفاته، فهم وسط بين أهل النفي والتعطيل، وأهل التشبيه والتمثيل؛ فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم، وبجميع أسمائه الحسنى من غير تحريف لمعناها، ولا نفي لها أو تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فهم يثبتون جميع الأسماء والصفات مع تحقيقها لله عز وجل، وتنزيهه سبحانه عن مماثلة مخلوقاته، تصديقا بخبره عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: 11، وهم وسط في ذلك بين أهل التعطيل وأهل التشبيه والتمثيل[3]، كذلك الاعتقاد بإله واحد، فالاعتقاد بإله واحد يقع في الوسط بين العقائد الإلحادية كالدهرية قديمًا والشيوعية حديثًا والتي لا تعترف بوجود إله، وبين العقائد الشركية الخرقاء التي تشرك مع الله إلهًا آخر أو اثنين أو أكثر، العقائد الإلحادية وقفت ضد تيار الفطرة الموجود في الطبيعة البشرية فأشقت الإنسان، بينما تسببت العقائد الشركية بتمزيقه، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الأنبياء: 22.

خامسًا: التعرف على الله تعالى: فمن آمن بأسماء الله وصفاته ازداد معرفة بالله تعالى، فيزداد إيمانه بالله يقينا، ويقوى توحيده لله تعالى، والثناء على الله بأسمائه الحسنى، وسؤال الله ودعاؤه بأسمائه وصفاته، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ الأعراف: 180، والسعادة والحياة الطيبة في الدنيا،

1) بأن يصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم، لا يعطل ولا يشبه بل هو وسط بين الفريقين، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص: 362).

2) جامي، محمد أمان، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، (ص: 362).

3) صوفي، د. عبد القادر بن محمد، المفيد في مهمات التوحيد، (ص: 37).

ونعيم الجنة في الآخرة[1]، وبقراءة القرآن الكريم قراءة شـــاملة كاملة يتعرف المؤمن على أسماء الله وصـــفات وأفعاله، مما يقوي إيمانه ويعمق علاقته بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنعام: 19، إنما هو معبود واحد، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة "وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ"، يقول: قل: وإنني بريء من كل شريك تدعونه لله، وتضيفونه إلى شركته، وتعبدونه معه، لا أعبد سوى الله شـيئا، ولا أدعو غيره إلها[2]، وعن ابن عباس، قال: كنت رديف النبي صـلى الله عليه وسـلم فقـال: " يا غلام أو يا بني أو لا أعلمـك كلمـات ينفعـك الله بهن؟ " قلـت: بلى، قـال: " احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشـــدة، إذا سـألت فاسـأل الله، وإذا اسـتعنت فاسـتعن بالله... [3]، وهناك جوانب متعددة تسـاعد على معرفة الله تعالى منها:

- تزكية النفس: قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: 7ـــ 10، هي تربية النفس وتوجيهها نحو المثل العليا، وهذا الأثر هو نتيجة المعرفة بأصـول هذه العقيدة وأركانها، فالمعرفة بالله تعالى من شـأنها أن تربي في النفس ملكة المراقبة لله سبحانه وتعالى وإخلاص العبودية له، والتحرر من كل ولاء لغيره، ولعل فاتحة الكتاب التي نرددها في صـــلواتنا كل يوم، تأكيد لهذا المعنى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ الفاتحة: 5، فعبودية الإنســـان لربه تحرّره من عبوديته للعباد، وعبوديته للدنيا بما فيها من ترغيب وترهيب، والمعرفة بالملائكة تدعو إلى التشبه بطاعتهم لله، والتعاون على الحق والخير والوعي الكامل واليقظة التامة، فلا يصدر

1) آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، التوحيد للناشئة والمبتدئين، (ص: 52).
2) ابن الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (11/ 293).
3) البيهقي، أحمد بن الحسين، (2/ 350).

من الإنسان إلا ما هو خير ولا يتصرف إلا لهدف أسمى، وكذلك الحال في كل ركن من أركان العقيدة، بل في كل جزئية من كل ركن[1].

- الإرشاد إلى الطريق المستقيم: كتاب الله تعالى يحمل جملة من النصوص المرشدة والهادية إلى الطريق المستقيم وعدم الانحراف قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ الفاتحة: 6، إشارة إلى القسم الأول، وقوله: صراط الذين أنعمت عليهم إشارة إلى القسم الثاني، ثم في هذا القسم طلب أن يكون اقتداؤه بأنوار عقول الطائفة المحقة الذين جمعوا بين العقائد الصحيحة والأعمال الصائبة، وتبرأ من أن يكون اقتداؤه بطائفة الذين أخلوا بالأعمال الصحيحة، وهم المغضوب عليهم، أو بطائفة الذين أخلوا بالعقائد الصحيحة، وهم الضالون، وهذا آخر السورة، وعند الوقوف على ما لخصناه يظهر أن هذه السورة جامعة لجميع المقامات المعتبرة في معرفة الربوبية ومعرفة العبودية[2].
- التوازن: ومع هذا التكامل وذاك الشمول، نجد خاصية أخرى بارزة في العقيدة الإسلامية، تتصل بواحدة من أهم السمات العامة للإسلام وهي الوسطية والاعتدال، تلكم هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فيقع كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال موزون، بحكمة ربانية "تضبط فيها النسب بين جوانب الحياة وقيمها؛ فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، والعبادة والقرابة، والقومية والإنسانية؛ قيم من قيم الحياة، والإسلام جعل لكل منها موضعا في نظام الحياة ونسبة محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة[3].

المطلب الثالث: أثر القراءة الكلية الشاملة على الفكر الإسلامي:

تعريف الأثر لغة واصطلاحا:

الأثر لغة: أَثَرٌ: (أثر) الأَثر بقية الشيء والجمع آثار وخرجت في إِثْره وفي أَثَره أَي بعده،

1) الرقب، د. صالح، العقيدة في الله عز وجل، (ص: 26).

2) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (1/ 229).

3) د. عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، (ص: 392).

وتَأَثَّرْته تتبعت أَثره، ويقال آثَرَ كذا أَي أَتْبَعه إِياه والأَثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء والتأْثير إِبْقاءُ الأَثر في الشيء وأَثَّرَ في الشيء ترك فيه أَثرًا وأَثَرَ خفَّ البعير يأْثُرُه أَثْرًا بخفها أَو حافرها، الأَثَرُ الأَجل وسمي به لأَنه يتبع العمرُ وأَصله من أَثَّرَ مَشْيُه[1].

واصطلاحًا: وهو العلامة الفرعية التي تدل على أصل الشيء وحقيقته، مثل أثر الرجل في الطين، فهو فرع للأصل الحقيقي الذي هو القدم.

ومنه قوله ـتعالىـ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة يس: 12) "عليكم منازلكم تكتب آثاركم"، وقيل: خطاهم[2]، وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يبسط عليه في رزقه، وينسأ في أثره، فليصل رحمه»[3].

يؤخر في أجله يقال للرجل نسأ الله في عمرك وأنسأ عمرك والأثر ههنا آخر العمر[4]، وقيل: يبقى ذكره الطيب وثناؤه الجميل مذكورا على الألسنة، فكأنه لم يمت، والعرب تقول الثناء يضارع الخلود[5].

تعريف الفكر الإسلامي لغة واصطلاحًا:

الفكر لغة: فكر: الفكر والفكر: إعمال الخاطر في الشيء؛ قال سيبويه: ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر، قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكارا. ورجل فكير، مثال فسيق، وفيكر: كثير الفكر؛ ومن العرب من يقول: الفكر الفكرة، والفكرى على فعلى اسم، وهي قليلة، الجوهري: التفكر التأمل[6].

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (4 / 5).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، (20/ 498 ـ 499).

3) أخرجه أبو داوود، عن أنس رضي الله عنه، كتاب سنن أبي داوود، باب في صلة الرحم، برقم 1693، (2/ 132).

4) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن، (2/ 82).

5) ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، (6/ 206).

6) لسان العرب، مرجع سابق، (5/ 65).

(الفكر) اصـــطلاحًا: إعمال العقل في المعلوم للوصـــول إلى معرفة مجهول ويقال لي في الأمر فكر نظر وروية وما لي في الأمر فكر ما لي فيه حاجة ولا مبالاة جمع أفكار[1].

فكر: نشـاط ذهني، إعمال العقل في المعلوم للوصـول إلى معرفة المجهول "نتاج الفكر– فكر صـــائب/ صـــبياني" أجهد فكره: أمعن في التفكير– بنت الفكر: فكرة أو خطة مبتكرة منسـوبة إلى شـخص معين أو مجموعة معينة– رجال الفكر: المفكرون– شـارد الفكر: ذاهل، سـاه أو مسـتغرق في التفكير– علم الأفكار: علم يدرس الأفكار وقوانينها وأصـولها– مشـوش الفكر: مضـطرب، مرتبك[2]، والفكر: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر أي نظر وروية، وفكر في الشيء أي أعمل الفكر فيه ليتوصل إلى حله أو إدراكه[3].

الإســـلامي: نســـبة إلى الإســـلام، وهو الدين الذي أنزله الله على النبي محمد صـــلى الله عليه وســـلم، والفكر الإســـلامي في نظر الباحث يأتي على قســـمين: العام والخاص، وتعريفهما كالآتي:

الفكر الإسلامي العام: هو كل ما أنتجه فكر المسلمين في مختلف جوانب الحياة، سواء كانت دينية أو دنيوية، منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا.

الفكر الإســـلامي الخاص: هو الدراســـات والعلوم التي تهتم بالإســـلام نفســـه، مثل القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والعقيدة، والتزكية، والتاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية.

أثر القراءة الكلية الشاملة على الفكر الإسلامي:

القراءة الكلية الشـاملة للنصـوص القرآنية هي منهج فكري يعتمد على الإلمام بمختلف أبعاد الفهم الواسـعة والشـاملة، وعدم الاكتفاء بجانب معين أو تفسـير أحادي للنصـوص، وتظهر أهمية هذا المنهج في الفكر الإسـلامي في تكوين رؤية متكاملة تجمع بين مختلف العلوم

1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (2/ 698).

2) عمر، د. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، (3/ 1734).

3) الرحيلي، د. حمود بن أحمد، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، (ص: 337).

الشرعية والعقلية والتاريخية، مما يؤدي إلى فهم أعمق وأشمل للإسلام واستخلاص مقاصده الكبرى للشريعة الإسلامية، ولتطبيق القرآن الكريم على الواقع المعاصر، وهناك آثار للقراءة الكلية الشاملة على الفكر الإسلامي أهمها:

1- الحد من الغلو والتطرف الفكري: حينما يتجاوز الانسان الحد في الأمور الدينية أو الدنيوية، ويبالغ في تطبيق تعاليم الدين أو في الالتزام بها بما يتجاوز ما طلبه الله ورسوله يكون قد وصل إلى حد الغلو قال الإمام الشاطبي في الاعتصام: الغلو هو المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف[1]، وقد حذر الإسلام من الغلو في عدة نصوص، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ المائدة: 77، عن أبي العالية، قال: قال ابن عباس: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على راحلته: «هات، القط لي» فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده، قال: «بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[2]،

الغلو هو: مجاورة الحد في مدح الشيء أو ذمه، وضابطه تعدي ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى الله عنه [3] في قوله: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ طه: 81، أما التطرف فهو قريب جدًا من لفظ الغلو، ويأخذ غاية واحدة في الهدف والتطبيق، وناتج من نتائج القراءة الجزئية الناقصة يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز: التطرف: هو عدم الاعتدال بغلو أو جفاء[4]، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بينت الغلو والتطرف وعلاقتهما فقالوا: الغلو في

1) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، (1/ 392).

2) سنن النسائي، عن ابن عباس، باب التقاط الحصى، برقم: 3057، (5/ 268).

3) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، (ص: 254).

4) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، (8/ 236).

الحقيقة أعلى مراتب الإفراط في الجملة، فالغلو في الكفن هو المغالاة في ثمنه والإفراط فيه، والغلو أخص من التطرف إذ إن التطرف هو مجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطا أو تفريطا، أو بعبارة أخرى: سلبا أو إيجابا، زيادة أو نقصا، سواء كان غلوا أم لا، إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر، فالغلو أخص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص، في حال النقص يسمى غلوا إذا بالغ في النقص، والتطرف: الانحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو، لكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجاوزة، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف، أو بمعنى آخر: كل غلو فهو تطرف، وليس كل تطرف غلو[1]. ومن خلال استقراء التاريخ لفرقة الخوارج وغلوهم وتطرفهم بأخذهم منهج القراءة الجزئية الناقصة التي أوصلت بهم إلى الغلو والتطرف أو الجمود الفكري، والمتأمل إلى قصتهم فتمسكوا بنصوص معينة عن التحكيم وكفّروا بها المسلمين، مع إغفالهم الكليات المتعلقة بالتسامح والرحمة، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال النبي ــصلى الله عليه وسلمــ : " يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد "[2].

2- التمسك بالكليات والمقاصد وعدم إهمال الجزئيات: هناك خطورة التمسك بجزئيات الدين دون فهم الكلي والشامل منها، يقو الإمام الشاطبي في الاعتصام: وذلك أن هذه الفِرق إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية، لأن الكليات تقتضي عددا من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل ولا بباب دون باب، واعتبر ذلك بمسألة التحسين العقلي، فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافا في فروع

1) الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، (74/ 236 ـ 237).

2) صحيح البخاري- من حديث أبي سعيد –كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله عز وجل: (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر)- حديث رقم: 3344 ، (4/ 137).

لا تنحصـــر، ما بين فروع عقائد وفروع أعمال، ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشـاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشـريعة بالمعارضـة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضا، وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة، وإن كانت زلة العالم مما يهدم الدين، حيث قال عمر بن الخطاب – رضـــي الله عنه –: ثلاث يهدمن الدين: زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضـــلون. ولكن إذا قرب موقع الزلة لم يحصـــل بســـببها تفرق في الغالب ولا هدم للدين. بخلاف الكليات[1]، وهذا ينطبق على فرقة الخوارج الذين تمسكوا بالجزئيات وجعلوها ثوابت، وضيعوا الكليات وجعلوها متغيرات واجتهادات، ونتيجة هذا الخلط كان منهم التكفير وحمل السـلاح على الإمام علي بن أبي طالب ــرضـــي الله عنهــ وجماعة المســـلمين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ البقرة: 85.

3- أهمية الفهم المتوازن في التطبيق: ومع هذا التكامل وذاك الشـــمول، نجد خاصـــية أخرى بارزة في العقيدة الإسـلامية، تتصـل بواحدة من أهم السـمات العامة للإسـلام وهي الوسـطية والاعتدال، تلكم هي خاصـــية التوازن بين الأمور المتقابلة، فيقع كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال موزون، بحكمة ربانية "تضـبط فيها النسـب بين جوانب الحياة وقيمها؛ فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، والعبادة والقرابة، والقومية والإنســـانية؛ قيم من قيم الحياة، والإسـلام جعل لكل منها موضـعا في نظام الحياة ونسـبة محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة"[2].

1) الاعتصام، مرجع سابق، (2/ 712 ـ 713).

2) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، (ص: 392).

تميزت الرسالة الربانية الخاتمة بالفهم المتوازن في التطبيق لجميع متطلبات البشر لجميع أجناسهم في كل مكان وزمان، وتضمنت النظام الإسلامي الكامل السديد لعلاقة البشر مع خالقهم ومع بعضهم البعض، فهي تحمل التعريف الصحيح بالله وحقه والكون والحياة، وعن مبدأ الإنسان ودوره في الحياة، ومصيره بعد الممات، مما أحدث توازنًا كليًا متكاملًا في الفهم التطبيقي للتشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ المائدة: 15 ــ 16، فهذه الشمولية تجلي للفرد والمجتمع التوازن والانسجام في الفكر والنفس والعمل، الذي هو أهم مقومات الحياة السعيدة المثمرة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الأنفال: 24، فكانت الرسالة المحمدية رحمة من الله للناس لتخليصهم من تلك الجاهليات التي جثمت على قلوبهم، ولوثت أفكارهم دهرا طويلا، لقد عاش الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة النبوية يؤسس للمجتمع المسلم، ويقيم جميع شئونه على منهج الله، ولم ينتقل صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه إلا وقد تحول الإسلام بكل ما فيه من عقائد وتعاليم وأخلاق إلى واقع حي، تظهر مظاهره وثماره في الأفكار والقلوب والسلوك[1].

التوازن بين ما يتلقاه الإنسان عن طريق الوحي وبين ما يتلقاه عن طريق وسائل الإدراك البشري، والتوازن بين طلاقة المشيئة الإلهية وثبات السنن الكونية، والتوازن بين المشيئة الإلهية الطليقة ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة، والتوازن في مصادر المعرفة بين الوحي والعقل.. وبين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب.. وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين القيم المادية والقيم المعنوية، وهذه الخاصية لها أثرها الكبير في عصمة هذه الأمة عن الغلو والإفراط وعن النقص والتفريط، وعن التأرجح بين المذاهب والأفكار القاصرة، والأخطاء

1) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، مرجع سابق، (1/ 107).

الناتجة عن الوقوع في الانحراف بكل قيمة عن مكانتها اللائقة بها[1].

فالفهم الكلي الشامل المتوازن لتطبيق النصوص القرآنية فريضة شرعية، وضرورة بشرية؛ لأنه يساعد في تطبيق الأحكام الشرعية، ضمن إطار الفهم الكلي، ومن هذا المنطلق فهم الصحابة ــرضي الله عنهمــ الإسلام كنظام شامل متوازن، قابل للنظرية التطبيقية، يتمسك بالكليات دون إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا إطراء.

4- تحقيق التكامل بين العلوم: عني الإسلام بالعلم ودعا إليه وحث على طلبه والاهتمام به، وأنزل الله تعالى آيات صريحة، تدعو إلى التعلم في الأصول والعقائد، والشرائع والأخلاق، والمبادئ والقيم، والخصائص والتصورات، وبرزت العناية باللغة العربية وفروعها المختلفة، والعلوم المهتمة بالكون والإنسان والحياة، وحدثت نهضة علمية مزدهرة وملموسة في حياة المجتمع الإسلامي على مر العصور والأزمان، في النواحي العقدية والشرعية والأخلاقية والعلمية والفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية، وامتدت إِلَى أفرع الْعلم من فلك وطب وهندسة ورياضيات وَغَيرهَا. وغيرت من مجريات الأمة نحو التطور والتقدم الحضاري والاستراتيجي الكبير لتورث العزة والكرامة والاستشراف للمستقبل، وحققت تكاملًا بين جميع العلوم، وظهرت آثار النشاط العلمي في أوج قوته، ماثلة للعيان في مختلف العلوم الدينية منها والدنيوية، كما ظهر للعلماء دور بارز في التعليم والتدوين والتأليف والاجتهاد والاكتشاف، وعاش المسلمون آثاره حتى عصرنا هذا، وتزاحم الطلاب على أبواب العلم والعلماء ينهلون من هذا المعين الثري فأفادوا من ذلك غاية الإفادة.

والمتأمل إلى توحيد الله وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات هو أصل، العلوم الدينية: كما أن العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها فهو أصلها كلها، فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، قال تعالى: ﴿

1) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، (ص: 393).

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ الحشر: 19، فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا، وهو: أن من نسي ربه أنساه ذاته[1]، وتمتد نحوه أعناق الهمم والخواطر ما كان موضوعه أحل الموضوعات وغايته أشرف الغايات، وإليه مرجع العلوم الدينية ومستند النواميس الشرعية، وبه صلاح العالم ونظامه وحله وابرامه والطرق الموصلة إليه يقينيات والمسالك المرشدة نحوه قطعيات وذلك هو العلم الملقب بعلم الكلام، الباحث في ذات واجب الوجود وصفاته و أفعاله و متعلقاته، ولما كنا مع ذلك قد حققنا أصوله ونقحنا فصوله، وأحطنا بمعانيه، وأوضحنا مبانيه، وأظهرنا أغواره، وكشفنا أسراره، وفزنا فيه بقصب سبق الأولين وحُزنا غايات أفكار المتقدمين والمتأخرين، و استنزعنا منه خلاصة الألباب، وفصلنا القشر عن اللباب[2]، ومعلوم أن القرآن الكريم اشتمل على كل العلوم الدنيوية والأخروية يدعو الفكر الإسلامي إلى التفاعل بين مختلف المعارف والعلوم، وهو ما يعزز التجديد والاجتهاد في الفكر الديني.

5- الفهم الأعمق لمقاصد الشريعة: الشريعة تُطلقَ في اللغة على مورد الماء ومنبعه ومصدره، كما تُطلق على الدين والملة والطريقة والمنهاج والسنة، والشريعة والشرع والشِّرْعَة بمعنى واحد[3]، مقاصد الشريعة هي: الأغراض التي لأجلها شرع الله الشرائع، وليس يخلو شيء شرعه الله من غرض أريد به، وما من شيء من تلك الأغراض إلا وهو عائد على المكلف بالنفع والمصلحة، وذلك متحقق له في الدنيا أوفي الآخرة، أو في الدارين جميعا، وكله من رحمة الله تعالى به وإرادته الخير له، فالذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره أعلم بما يصلحه وينفعه، بل هو أعلم به حتى من نفسه[4]: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ الملك: 14، إن مقاصد

1) التميمي، محمد بن خليفة، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، (ص: 15).

2) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، (3/ 183).

3) الخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، (ص: 14).

4) الجديع، عبد الله بن يوسف، تيسيرُ علم أصول الفقه، (ص: 328).

الشـريعة هي الغايات التي وضـعت الشـريعة لأجل تحقيقها، لمصـلحة العباد[1]، وذكر الإمام الشاطبي في الموافقات في المسألة التاسعة فقال: "كون الشارع قاصدا للمحافظة على القواعد الثلاث: الضرورية، والحاجية والتحسينية"[2]، فالقول بقصد الشارع إلى حفظ هذه الكليات الكبرى، لا يكفي لإثباته الإتيان بنص أو بضعة نصوص -إن وجدت- تصرح بهذا القصد. فالقضية أكبر وأخطر من أن تثبت بدليل يمكن تطريق الاحتمال إليه، سواء في ثبوته، أو دلالته، أو سلامته من المعارض. فالقضية لا تحتمل الظن، ولا يقيمها إلا الدليل القطعي، لأنها أصل الأصول في الشريعة[3]، أن هذه القواعد الثلاث لا يرتاب في ثبوتها شرعا أحد ممن ينتمي إلى الاجتهاد من أهل الشرع، وأن اعتبارها مقصود للشارع ودليل ذلك استقراء الشريعة، والنظر في أدلتها الكلية والجزئية، وما انطوت عليه من هذه الأمور العامة على حد الاستقراء المعنوي الذي لا يثبت بدليل خاص، بل بأدلة منضاف بعضها إلى بعض، مختلفة الأغراض، بحيث ينتظم من مجموعها أمر واحد تجتمع عليه تلك الأدلة[4]، "أن مقاصد الشريعة هي المرجع الأبدي لاستقاء ما يتوقف عليه التشريع والقضاء في الفقه الإسلامي، وأنها ليست مصدرًا خارجيا عن الشرع الإسلامي، ولكنها من صميمه، وليست غامضة غموض القانون الطبيعي الذي لا يعرف له حد ولا مورد. وأن المقاصد تؤثر حتى على ما هو منصوص عليه عند الاقتضاء[5]، إن مقاصد الشريعة هي تحقيق مصالح الناس، ولكن مصالح الناس ليست على درجة واحدة من حيث الأهمية والخطورة وحاجة الناس إليها، وإنما هي على مستويات مختلفة، ودرجات متعددة، فبعض المصالح ضروري وجوهري يتعلق بوجود الإنسان ومقومات حياته، وبعضها يأتي في الدرجة الثانية ليكون وسيلة مكملة للمصالح

1) الريسوني أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، (ص: 7).
2) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، (2/ 79).
3) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، مرجع سابق، (ص: 286).
4) الموافقات، مرجع سابق، (2/ 81).
5) الفاسي علال، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، (ص 51-52).

الضرورية السابقة، وتساعد الإنسان على الاستفادة الحسنة من جوانب الحياة المختلفة في السلوك والمعاملات وتنظيم العلاقات، وبعض المصالح لا تتوقف عليها الحياة، ولا ترتبط بحاجات الإنسان، وإنما تتطلبها مكارم الأخلاق والذوق الصحيح والعقل السليم، لتأمين الرفاهية للناس، وتحقيق الكماليات لهم[1].

ويؤكد الباحث أن المقاصد الشرعية مثل: العدل والرحمة، ودرء المفاسد وجلب المصالح، وترجيح المفاسد والمصالح بينها، والاجتهاد والتعمق في معاني الفكر الإسلامي، على أساس العقائد والشرائع ولا يمكن إدراكها إلا من خلال القراءة الكلية الشاملة للنصوص القرآنية والاستنباط الشامل، وعليه: من لم يفهم مقاصد الشريعة فإنه قد يفسد أكثر مما يصلح، لا يحق له النظر في أمور الدين.

6- الاجتهاد الصحيح والسليم: الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الأمر والغلو مجاوزته وتعديه وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان فأما إلى غلو ومجاوزة وغما إلى تفريط وتقصير وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلق رسول الله وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم(2)، والاجتهاد هو: "استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه لوم مع استفراغ الوسع فيه"[3].

قال الإمام البغوي: الاجتهاد هو رد القضية إلى معنى الكتاب والسنة من طريق القياس، فعلى الحاكم أن يحكم بما في كتاب الله سبحانه وتعالى، فإن لم تكن الحادثة التي يحتاج إلى الحكم فيها في كتاب الله، فيحكم بالسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجدها في السنة، فحينئذ يجتهد[4]، والدليل ما ورد في الحديث، عن الحارث بن عمرو ابن

1) الزحيلي، الأستاذ الدكتور محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، (1/ 112).

2) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، (ص: 257).

3) الأرموي، محمود بن أبي بكر، التحصيل في المحصول، (ص:281).

4) البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، (10/ 116).

أخي المغيرة بن شعبة، عن أناس من أهل حمص، من أصحاب معاذ بن جبل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟»، قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟»، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في كتاب الله؟» قال: أجتهد رأيي، ولا آلو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يرضي رسول الله»[1].

أورد الإمام البغوي في شرح الحديث عدد من المسائل أهمها:

1- قوله: «أجتهد رأيي»: لم يرد به الرأي الذي يسنح له من قبل نفسه، أو يخطر بباله على غير أصل من كتاب أو سنة، بل أراد به رد القضية إلى معنى الكتاب والسنة من طريق القياس[2].

2- وقوله «وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر»: لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ، بل يؤجر في اجتهاده طلب الحق، لأن اجتهاده عبادة، والإثم في الخطأ عنه موضوع إذا لم يأل جهده، وهذا فيمن كان جامعا لآلة الاجتهاد، فأما من لم يكن محلا للاجتهاد، فهو متكلف لا يعذر بالخطأ في الحكم، بل يخاف عليه أعظم الوزر[3]، والدليل عن ابن بريدة عن أبيه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار"[4].

---

1) سنن أبي داود، عن معاذ بن جبل، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، برقم: 3592، (3/ 303).

2) شرح السنة، مرجع سابق، (10/ 117).

3) المرجع السابق، (10/ 117).

4) سنن أبي داود، عن ابن بريدة عن أبيه، أول كتاب الأقضية، باب القاضي يخطئ، برقم: 3573، (5/ 426).

3- وفي هذا الحديث دليل على أن ليس كل مجتهد مصيبا، إذ لو كان كل مجتهد مصيبا، لم يكن لهذا التقسيم معنى، وهو معنى قول الشافعي، ومذهبه أنه إذا اجتهد مجتهدان في حادثة فاختلف اجتهادهما، أن الحق منهما واحد لا بعينه، وذهب أصحاب الرأي إلى أن كل مجتهد مصيب، لأنه لم يكلف عند اشتباه الحادثة إلا الاجتهاد، وليس كذلك، بل هو مأمور بالاجتهاد لإصابة الحق، فإن أصابه أجر، وإن لم يصب عذر، كمن اشتبهت عليه القبلة، كلف أن يجتهد ليصيب جهتها، فإن لم يصبها يقينا عذر[1].

4- والحديث يدل على أنه لا يجوز للحاكم تقليد الغير، وإن كان أعلم منه وأفقه حتى يجتهد، ويستحب له مشاورة أهل العلم في الحوادث، والبحث عن الدلائل، ثم يحكم بما لاح له بالدليل(2)، قال الله سبحانه وتعالى لرسوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: 159، عن أبي هريرة رضي الله عنه " ما رأيت أحدا أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3].

5- الفهم الأعمق لجذور الفكر الإسلامي: يشير الفكر الإسلامي بفهمه الأعمق، إلى مجمل الآراء والمعتقدات، والتيارات الفكرية التي نشأت وتطورت في العلم الإسلامي، منذ ظهور الإسلام وحتى العصر الحديث، وهي بمختلف العلوم الشرعية والعقلية والإنسانية والطبيعية، وتتعدد جذور الفكر الإسلامي، وتتفاعل فيما بينها لتشكيل هذا النسيج الفكري الغني والمتنوع والمفعم بالفهم الصحيح والمنضبط بضوابط الشريعة الإسلامية ومتطالبات الإنسان والحياة والكون، حيث تأثر الفكر الإسلامي بالعديد من الحضارات والثقافات التي سبقته، مثل الحضارة اليونانية، والفارسية، والهندية، والمصرية القديمة، وقد تمثل هذا التأثير في استيعاب

1) شرح السنة، مرجع سابق، (10/ 118).

2) المرجع السابق، (10/ 118).

3) السنن الكبرى للبيهقي، عن أبي هريرة، كتاب النكاح، باب ما أمره الله تعالى به من المشورة، برقم: 13303 ، (7/ 73).

بعض الأفكار والنظريات، وتطويرها بما يتوافق مع رؤية الإسلام، ولم يكن الفكر الإسلامي بمعزل عن الواقع الذي يحيط به، بل تفاعل معه بشكل مستمر، وتأثر بالتغيرات والتحديات التي واجهت المسلمين عبر التاريخ، وقد أوصل هذا التفاعل إلى ظهور تيارات فكرية متنوعة، تسعى إلى تقديم حلول لمشاكل المجتمع، وتقديم رؤى مستقبلية للأمة الإسلامية.

الخاتمة:

توصل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات أهمها:

أهم النتائج:

1- إن الإيمان والعقيدة هو الأساس الثابت، والمبدأ العميق، والمنهج القيّم؛ لنشر الأفكار الصحيحة، والتعاليم السليمة، وصمام أمان الحفاظ على المجتمعات والأفراد من الانحرافات العقدية والفكرية.

2- تشويه معاني النصوص القرآنية، وفهمها فهمًا خاطئًا، وتفسيرها تفسيرًا ناقصًا، يؤدي إلى استنتاج معتقدات منحرفة في مسائل العقيدة والشريعة.

3- الاستدلال غير الصحيح لنصوص القرآن الكريم، يتم عبر اقتطاع جزء من بعض الآيات لتأييد فكرة مسبقة، دون النظر إلى باقي الآيات التي قد تحمل معنى مختلفًا أو مكملًا؛ مما يشكّل خطرًا كبيرًا على العقيدة، وتبني أفكارًا منحرفة أو ضالة.

4- التباعد عن الفهم السليم لنصوص القرآن الكريم وشرائعه، بمنع القارئ من الوصول إلى الفهم السليم والشامل للنصوص القرآنية، حيث يهتم بالتفاصيل الجزئية دون ربطها بالمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، ويحول دون الوصول إلى المعرفة الحقيقية التي تزيد المؤمن إيمانًا وتقوى.

5- تنقية التوحيد وصفاء العقيدة، هو أساس العودة إلى تحرير مفهوم العبودية بكل أبعادها؛ وتحقق السعادة للإنسان، ويرفع عنه الآصار والأغلال، ويمنحه الأمن النفسي تجاه مسائل الكون والحياة والإنسان، وبذلك ينعتق من كل العبوديات الأرضية.

6- سمة الخلود تؤكد قدرتها على التجديد الذاتي، والتطور الفكري، بإنتاج نماذج للاقتداء والاتباع، قادرة على التجديد، وإعادة معايرة الواقع بقيم الكتاب والسُّنة، بفاعلية تجاوز القراءة السطحية الجزئية العابرة.

7- تحقق الوعي الحضاري، يعيد بناء المسلم المعاصر، وإحياء وعيه برسالته الإسلامية الإنسانية، ووظيفته في الشهادة على الناس، وتبصره بالسُّنن الإلهية في القرآن والأنفس والآفاق، لتصويب المفاهيم وتصحيح المعايير، والتحقق بفقه النص في الكتاب والسنة.

أهم التوصيات:

1- يوصي الباحث بضرورة العناية بالقرآن الكريم تدبرًا وتأملًا بفهم سليم وعميق، والمستنبط للنصوص القرآنية الكلية الشاملة عبر المدارس، والجامعات، والمساجد، ومنابر الإعلام.

2- يجب النظر إلى الآيات في سياقها العام، وربطها بالآيات الأخرى التي تتناولت نفس الموضوع، لفهم المعنى بشكل صحيح وشامل، ويساعد للوصول إلى الأسرار والمعاني الخفية.

3- الرجوع إلى التفاسير المعتمدة لأهل العلم الراسخين في الفهم والعلم، حيث أنهم يقدمون شروحًا مفصلة لنصوص الآيات القرآنية، ويشرحون معانيها في ضوء قواعد وأصول ومبادئ التفسير المعتمدة عند العلماء وغيرها من المراجع.

4- ضرورة معالجة ومحاربة أشكال التطرف والعنف، والجمود والجحود الناتجة عن القراءة الجزئية الناقصة، وما أثارته من آفات وجرائم ومحظرات، والحذر من خطورتها وضررها الفتاك.

5- صرف الجهود في بيان أهمية القراءة الكلية الشاملة، وأثرها الإيجابي على الفرد والمجتمع، في تنمية واستقرار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية.

المصادر والمراجع:

الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، (1405هـ)، *الموسوعة القرآنية*، مؤسسة سجل العرب.

الآجُرِّيِّ، أَبو بكر محمَّد بن الحسين، (2005)، *أخلاق حملة القرآن للآجُرِّيِّ*، تحقيق وتعليق: أبو محمد أحمد شحاته الألْفي السَّكندري، الطبعة الأولى، دار الصفا والمروة بالإسكندرية.

أحمد مختار، أحمد مختار عبد الحميد، (2008)، بمساعدة فريق عمل، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط1، عالم الكتب.

الأرموي، محمود بن أبي بكر، (1988)، *التحصيل في المحصول*، ط1، دراسة وتحقيق: د. عبد الحميد علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة.

إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله، *الورقات*، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد.

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، *مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله*، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

البخاري، محمد بن إسماعيل، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري*، ط1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

البغدادي، علي بن عقيل، (1999)، *الوَاضِح في أُصُولِ الفِقه*، ط1، تحقيق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

البيهقي، أحمد بن الحسين، (2003)، *السنن الكبرى*، ط2، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

ابن بطال علي بن خلف، (2003)، *شرح صحيح البخاري*، ط2، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض.

أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

التميمي، محمد بن خليفة، (1999)، *معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات*، ط1، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، (1418هـ)، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، ط1، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (1980)، *مقدمة في أصول التفسير*، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، (1997)، *درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول*، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية – بيروت.

الثعلبي، أحمد بن محمد، (2002)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، ط1، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، (2003)، *أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة*، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (2009)، *دَرْجُ الدُّرر في تَفسيرِ الآيِ والسُّوَر*، ط1، دار الفكر – عمان، الأردن.

ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، (1387هـ)، *تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)*، ط2، دار التراث – بيروت.

ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، (2000)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ط1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

الخادمي، نور الدين بن مختار، (2001)، *علم المقاصد الشرعية*، ط1، مكتبة العبيكان.

الخطابي، حمد بن محمد، (1932)، *معالم السنن*، وهو شرح سنن أبي داود، ط1، المطبعة العلمية – حلب.

الخميس، محمد بن عبد الرحمن، (2004)، *شرح الرسالة التدمرية*، دار أطلس الخضراء.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، (2009)، *سنن أبي داود*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد

الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

الرحيلي، حمود بن أحمد، (1424هـ)، *تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري*، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة (35) العدد (121).

رضا، محمد رشيد، (1990)، *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الرقب، صالح وبخيت، محمد حسن، (2006)، *العقيدة في الله عز وجل*، ط1، الجامعة الإسلامية – كلية أصول الدين، غزة- فلسطين.

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، *مجلة البحوث الإسلامية* – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

الريسوني، أحمد، (1992)، *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

الزحيلي، محمد مصطفى، (2006)، *الوجيز في أصول الفقه الإسلامي*، ط2، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا.

السجزيّ، عبيد الله بن سعيد، (2002)، *رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت*، ط2، تحقيق: محمد باكريم باعبد الله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

ابن سليمان، عبد الرحمن بن حسن، (1991)، *المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد*، ط1، دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (1997)، *الموافقات*، ط1، دار ابن عفان.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (2008)، *الاعْتِصَام*، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

الشوكاني، محمد بن علي، (1414هـ)، *فتح القدير*، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب

– دمشق، بيروت.

الشوكاني، محمد بن علي، (1984)، *إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات*، ط1، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – لبنان.

الصاعدي، حمد بن حمدي، (2003)، *المطلق والمقيد*، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

صوفي، عبد القادر بن محمد، (1423هـ)، *المفيد في مهمات التوحيد*، ط1، دار الاعلام.

ضميرية، عثمان جمعة، (1996)، *مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية*، ط2، تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع.

الطبراني، سليمان بن أحمد، *المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني*، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي.

الطبري، هبة الله بن الحسن، (2003)، *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*، ط8، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية.

الطيار، مساعد بن سليمان، (1423هـ)، *فصول في أصول التفسير*، ط2، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي.

الطيبي، الحسين بن عبد الله، (2013)، *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)*، ط1، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*، الدار التونسية للنشر – تونس.

ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، (1984)، *التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب*، ط1، دار

طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، (2002)، *تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد*، ط1، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق.

آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، (1422هـ)، *التوحيد للناشئة والمبتدئين*، ط1، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين، (1418هـ)، *شرح العقيدة الطحاوية*، ط1، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد.

عزت، دروزة محمد، (1383هـ)، *التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)*، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.

علي، محمد أمان بن علي جامي، (1408هـ)، *الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه*، ط1، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

العنزي، عبد الله بن يوسف، (1997)، *تيسيرُ علم أصول الفقه*، ط1، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

ابن فارس، أحمد بن فارس، (1979)، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

ابن فارس، خير الدين بن محمود، (2002)، *الأعلام*، ط15، دار العلم للملايين.

الفاسي، علال، (1993)، *مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها*، ط5، دار الغرب الإسلامي.

ابن الفراء، الحسين بن مسعود، (1983)، *شرح السنة*، ط2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط– محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت.

ابن الفراء، محمد بن الحسين، (1990)، *العدة في أصول الفقه*، ط2، حققه وعلق عليه

وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية.

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، (1420هـ)، *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، (1418هـ)، *محاسن التأويل*، ط1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن، *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*، ط2، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

القفاري، ناصر بن عبد الله، (1414هـ)، *أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية – عرض ونقد –*، ط1.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (1997)، *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء*، ط1، دار المعرفة – المغرب.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية – بيروت.

مجاهد، مجاهد بن جبر، (1989)، *تفسير مجاهد*، ط1، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.

مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (1993)، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، ط1، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

المروزى، منصور بن محمد، (1997)، *تفسير القرآن*، ط1، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية.

مصطفى، إبراهيم والزيات، أحمد وعبد القادر، حامد والنجار محمد، *المعجم الوسيط*، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

المطرفي، مشاري سعيد، (2014)، *آراء محمد رشيد رضا العقائدية في أشراط الساعة الكبرى*

وآثارها الفكرية، رسالة ماجستير بكلية الشريعة (قسم أصول الدين تخصص العقيدة) جامعة آل البيت بعمان بإشـــراف د محمد خير العمري ونوقشـــت 2013، ط1، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، الكويت.

مقاتل، مقاتل بن سـليمان، (1423هـ)، *تفسـير مقاتل بن سـليمان*، ط1، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت.

المقدسـي، عبد الغني بن عبد الواحد، (1993)، *الاقتصـاد في الاعتقاد*، ط1، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغـامـدي، مكتبـة العلوم والحكم، المـدينـة المنورة، المملكـة العربيـة السعودية.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، *لسان العرب*، ط1، دار صادر – بيروت.

أبو المظفر، طاهر بن محمد، (1983)، *التبصـــير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين*، ط1، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان.

الناصـــري، محمد المكي، (1985)، *التيســـير في أحاديث التفســـير*، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.

النسـائي، أحمد بن شعيب، (1986)، *المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي*، ط2، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

النملة، عبد الكريم بن علي، (1999)، *الْمُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ (تحريرٌ لمسائلِه ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً)*، ط1، مكتبة الرشد – الرياض.

ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، (1994)، *العواصـم والقواصـم في الذب عن سـنة أبي القاسـم*، ط3، حققه وضـبط نصـه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شـعيب الأرنؤوط، مؤسـسـة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.